كتاب

أصول الإيمان

في ضوء الكتاب والسنة

إعداد

نخبة من العلماء

مقدمة معالي الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـيخ وزير الشـؤون الإسـلامية والأوقاف والدعوة والإرشـاد المشرف العام على المجمع.

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[1] [النحل: ١٢٥]. والصلاة والسـلام علـى أشرف الأنبياء والمرسلين، القـائل: ﴿ بلغوا عني ولو آية ﴾ [2] [البخـاري: ٣٤٦١].

أما بعد: فإنفاذًا لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبـد العزيز آل سعود - حفظه الله- في إيصال الخير إلى عمـوم المسـلمين في مشارق الأرض ومغاربا، بدءًا بالعناية بكتاب الله، والعمل على تيسير نشره، وترجمة معانيه، وتوزيعه بين المسلمين، والراغبين في دراسته من غـيرهم، ثم نشر ما ينفع المسلمين في جميع شؤون حياتم الدينية والدنيوية.

وإيمانًا من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلـة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، بأهمية الدعـوة إلى الله تعالى على بصيرة فإنه يسرها أن تقدم كتاب:

((أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة))

وذلك لتبصير المسلمين في أمور العقيدة التي هي أساس الإيمان، لقولـه صلى الله ﷺ ﴿ إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ﴾ [3] [البخاري: ٥٢]، وستتبعه إن

(١) سورة النحل آية : ١٢٥ .

(٢) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٧٤) ، الترمذي العلم (٢٦٦٩) ، أحمد (١٥٩/٢) ، الدارمي المقدمة (٥٤٢) .

(٣) البخاري الإيمان (٥٢) ، مسلم المساقاة (١٥٩٩) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٨٤) ، أحمد (٢٧٠/٤) ، الدارمي البيوع (٢٥٣١) .

شاء الله تعالى سلسلة من الكتب في الحديث، والفقه، والذكر والدعاء، والتي نرجو من الله العلي القدير أن ينفع بها عموم المسلمين.

وبهذه المناسبة يسرني أن أشكر الإخوة الذين قاموا بإعداد الكتاب (تأليفًا، ومراجعة، وصياغة) جهدهم المخلص، وللأمانة العامة للمجمع حسن اهتمامها ومتابعتها، وأدعو الله تعالى أن يحفظ هذه البلاد راعية للدين، وحامية للعقيدة الصحيحة في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، حفظهم الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، وجعل أمتنا -أمة الإسلام- خيرَ أمة، وبعث فينا رسولًا منا يتلو علينا آياته ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فإن الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] (الذاريات: ٥٦). ولذا كان التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذةُ من منبعها الأصلي وموردها المبارك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي الغاية لتحقيق تلك العبادة، فهي الأساس لعمارة هذا الكون، وبفقدها يكون فساده وخرابه واختلاله، كما قال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] (الأنبياء: ٢٢)، وقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[3] (الطلاق: ١٢)، إلى غير ذلك من الآيات.

ولما كان غير ممكن للعقول أن تستقل بمعرفة تفاصيل ذلك بعث الله رسلَه وأنزل كتبَه؛ لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حتى يقوموا بعبادة الله على علم وبصيرة وأسسٍ واضحةٍ ودعائم قويةٍ، فتتابع رسلُ الله على تبليغه، وتوالوا في بيانه كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[4] (فاطر: ٢٤)، وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٢ .
(٣) سورة الطلاق آية : ١٢ .
(٤) سورة فاطر آية : ٢٤ .

﴿ [1] (المؤمنون: ٤٤)، أي يتبع بعضُهم بعضًا إلى أن ختمهم بسيدهم وأفضلهم وإمامهم نبينا محمد ﷺ فَبلّغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده ودعا إلى الله سـرا وجهرًا، وقام بأعباء الرسالة أكملَ قيام، وأوذيَ في الله أشد الأذى، فصـبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولم يزل داعيًا إلى الله هاديـًا إلى صراطـه المستقيم حتى أظهر الله به الدين، وأتم به النعمة، ودخل الناس بسبب دعوتـه في دين الله أفواجًا، ولم يَمُت ﷺ حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمـة، وأنـزل في ذلك سبحانه قولـه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [2] (المائدة: ٣).

فبين صلوات الله وسلامه عليه الدين كله أصوله وفروعه، كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: "مُحال أن يُظن بالنبي ﷺ أنه علم أمتـه الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد".

وقد كان ﷺ داعيةً إلى توحيد الله وإخلاص الدين لله ونبذ الشرك كـله كبيره وصغيره شأن جميع المرسلين؛ إذ أن الرسلَ كلهم متفقون على ذلـك، متضافرون على الدعوة إليه، بل هو منطلقُ دعوتم وزبدة رسالتهم وأسـاس بعثتهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [3] (النحل: ٣٦)، وقال:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [4] (الأنبياء: ٢٥)، وقال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

(١) سورة المؤمنون آية : ٤٤ .
(٢) سورة المائدة آية : ٣ .
(٣) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٤) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

﴾ [1] (الزخرف: ٤٥)، وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [2] (الشورى: ١٣).

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد» [3] [4] فالدين واحدٌ، والعقيدة واحدةٌ، وإنما حصل التنوعُ بينهم في الشرائع، كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [5] (المائدة: ٤٨).

ولذا ينبغي أن يكون متقررا لدى كل مسلم وواضحا لدى كل مؤمن أن العقيدة لا مجال فيها للرأي والأخذ والعطاء، وإنما الواجب على كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربا أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرسلين، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا با ودعوا إليها دون تشكك أو تردد، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [6] (البقرة: ٢٨٥).

فهذا شأنُ المؤمنين، وهذا سبيلهم: الإيمان والتسليم والإذعان والقبول، وعندما يكون المؤمن كذلك ترافقه السلامة، ويتحقق له الأمن والأمان، وتزكو نفسُه،

---

(١) سورة الزخرف آية : ٤٥ .
(٢) سورة الشورى آية : ١٣ .
(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٥٩) ، مسلم الفضائل (٢٣٦٥) ، أبو داود السنة (٤٦٧٥) ، أحمد (٤٠٦/٢) .
(٤) صحيح البخاري (٣٤٤٣) ، وصحيح مسلم (٢٣٦٥) .
(٥) سورة المائدة آية : ٤٨ .
(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

ويطمئن قلبُه، ويكون بعيدًا تمام البعد عما يقع فيه ضلال النـاس بسبب عقائدهم الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك وأوهام وحَيرة وتذبذب.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها السـليمة وقواعدهـا المتينة هي - دون غيرها - التي تحقق للناس سعادتم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيـا والآخرة؛ لوضوح معالمها، وصحة دلائلها، وسـلامة براهينـها وحججـها، ولموافقتها للفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والقلوب السوية.

ولهذا فإنّ العالَمَ الإسلامي كلّه في أشد الحاجة إلى معرفة هذه العقيدة الصافيـة النقية؛ إذ هي قطبُ سعادته الذي عليه تدور، ومستقر نجاته الذي عنه لا تحور.

وفي هذا المؤلّف الوجيز يجد المسلم أصولَ العقيدة الإسلامية وأهـم أسسـها وأبرزَ أصولها ومعالمها مما لا غنى لمسلم عنه، ويجد ذلك كله مقرونا بدليله، مدعمًـا بشواهده، فهو كتاب مشتمل على أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وهي أصول عظيمة موروثة عن الرسل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن لكل مميز من صغـير وكبير أن يُدركها بأقصر زمان وأوجز مدة، والتوفيق بيد الله وحده. وبهذه المناسبة نتقدم بالشكر الجزيل للذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب وهم: الدكتور صالح بـن سعد السحيمي، والدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، والدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي. كما نشـكر اللذين قاما بمراجعته وصياغته وهما: الدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي، والدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

وإنا لنرجوه سبحانه أن ينفع به عمومَ المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمـد لله رب العالمين.

الأمانة العامة

لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

تمهيد

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكـثرة عوائـده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكـاره والشـرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [1] (النحل: ٩٧). وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [2] (الإسراء: ١٩).

وقال تعـالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [3] (طه: ٧٥). وقـال تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [4] (الكهف: ١٠٧، ١٠٨).

والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يقوم على الأصـول الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقـدر خيره وشره، وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبويـة في مواطن عديدة. منها:

---

(١) سورة النحل آية : ٩٧ .
(٢) سورة الإسراء آية : ١٩ .
(٣) سورة طه آية : ٧٥ .
(٤) سورة الكهف آية : ١٠٧ ، ١٠٨ .

١ - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [(1)] (النساء: ١٣٦).

٢ - وقوله تعالى: ﴿ ۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [(2)] (البقرة: ١٧٧).

٣ - وقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [(3)] (البقرة: ٢٨٥).

٤ - وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾ [(4)] (القمر: ٤٩).

٥ - وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطـاب المشهور بحديث جبريل ﴿ أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قـال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خـيره وشره ﴾ [(5)] [(6)] .

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمـان لأحـد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عـن بعـض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

---

(١) سورة النساء آية : ١٣٦ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(٤) سورة القمر آية : ٤٩ .

(٥) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٢٧/١) .

(٦) صحيح مسلم برقم (١) .

ولذا كان متأكدا في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمامه بهذه الأصول علما وتعلما وتحقيقا.

وفيما يلي بيان ما يتعلق بالأصل الأول من هذه الأصول وهو الإيمان بالله.

الباب الأول: الإيمان بالله

إن الإيمان بالله ﷻ هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأنا، وأعلاها قدرا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه. والإيمان بالله عز وجل هو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبية، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنما سمي توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ند له.

وبذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية ، وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كلّ شيء ومليكُه وخالقُه ورازقُه، وأنه المحيي المميتُ النافعُ الضار، المتفردُ بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجع الأمرُ كله، لا شريك له في ذلك.

القسم الثاني: توحيد الألوهية ، وهو إفراد الله وحده بالذل والخضوع والمحبة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبادة لا شريك له.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات ، وهو إفراد الله تعالى. بما سمى ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصه والإقرار بأن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنه سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنه المَلِك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة دلائلُ كثيرة من الكتاب والسنة.

فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبـع لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، أفـاد هـذه الحقيقة الشرعية، وهي أنّ التوحيد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحدانيـة الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فمَن لم يأت بهذا جميعـه فليـس بمؤمن، وفيما يلي فصول ثلاثة في كل فصل منها بيان لقسـم مـن هـذه الأقسام:

الفصل الأول: توحيد الربوبية

المبحث الأول: معناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

أولا: تعريفه:

أ- لغة : الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه الرب، فالربوبية صفـة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد المطاع، والـمُصْلِح.

ب- أما في الاصطلاح : فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله.

ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكـم، والقضاء والقدر، وغـير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

ثانيا: أدلته :

أ- من الكتاب : قوله تعـالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [1] (لقمان: ١٠، ١١). وقولـه تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [2] (الطور: ٣٥)

ب- من السنة : ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبـد الله بن الشخير ﷺ مرفوعا وفيه: (السيد الله تبارك وتعالى..). وقد ثبت في الترمـذي وغيره أن النبي ﷺ قال في وصيته لابن عباس رضي الله عنـهما:... ﴿ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعـوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن

---

(١) سورة لقمان آية : ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة الطور آية : ٣٥ .

يضروك بشيء لم يضـروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف ﴾ [1] [2].

ج- دلالة العقل : دل العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبيـة وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكر في آيات الله الدالة عليه. وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طـرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان:

الطريق الأول : النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو مـا يعرف بـ (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قـال تعـالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [3] (الذاريات: ٢١)، وقال تعالى: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [4] (الشمس: ٧)، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجـائب صنـع الله لأرشده ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيما خبيرا؛ إذ لا يستطيع الإنسـان أن يخلق النطفة التي كان منها ؟ أو أن يحولها إلى علقـة، أو يحـول العلقـة إلى مضغة، أو يحول المضغة عظاما، أو يكسو العظام لحما ؟

الطريق الثاني : النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يعـرف بـ (دلالة الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالـة علـى ربوبيته، قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [5] (فصلت: ٥٣).

---

(١) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٢٩٣/١) .

(٢) سنن الترمذي (٢٥١٦) ، ومسند أحمد (١ / ٣٠٧) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه ، وصححه الحاكم .

(٣) سورة الذاريات آية : ٢١ .

(٤) سورة الشمس آية : ٧ .

(٥) سورة فصلت آية : ٥٣ .

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنار، وما يكتنف ذلك من ليل ونار وتسيير هذا الكون كله بذا النظام الدقيق؛ دله ذلك على أن هناك خالقا لهذا الكون، موجدًا له مدبرًا لشؤونه، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع الكائنات علم أنا خُلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به الله عن نفسه وأدلة على وحدانيته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم رحمه الله: " أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد ؟ ".

فقالوا: " هذا محال لا يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هذا محالا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله ؟ ".

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل على وحدانية خالقه وتفرده.

المبحث الثاني: بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة كما تقدم؛ ولذا فإنه لا يصح إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام، ولا ينجي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [1] (يوسف: ١٠٦)، والمعنى أي: ما يقر أكثرهم بالله ربا وخالقا ورازقا ومدبرا- وكل ذلك من توحيد الربوبية - إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره من الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع.

وبهذا المعنى للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا: الله وهم مشركون ".

وقال عِكْرِمَة: " تسألهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره ".

وقال مجاهد: " إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره ".

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: " ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربه، وأن الله خالقُه ورازقُه، وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [2] (الشعراء: ٧٥- ٧٧) " [1] .

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٦ .

(٢) سورة الشعراء آية : ٧٥ ، ٧٧ .

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كـان المشـركون زمن النبي ﷺ مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهـة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغيثون بهم ويـ لون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه علـى إقـرار المشـركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] (العنكبوت: ٦١)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [3] (العنكبوت: ٦٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [4] (الزخرف: ٨٧)، وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [5] (المؤمنون: ٨٤- ٨٩).

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تـ ل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك مـن خصـائص الـرب سبحانه، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقرون أن الله هو المتفرد

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٧ / ٣١٢- ٣١٣) .
(٢) سورة العنكبوت آية : ٦١ .
(٣) سورة العنكبوت آية : ٦٣ .
(٤) سورة الزخرف آية : ٨٧ .
(٥) سورة المؤمنون آية : ٨٤ - ٨٩ .

بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [1] (الزمر: ٣)، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو كافر حلال الدم والمال.

(١) سورة الزمر آية : ٣ .

المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولـة عليـه النفوس، متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنـده انحراف فيه، ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

١ - جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلـك الملاحدة الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو ذلك ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [1] (الجاثية: ٢٤).

٢- جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيتـه، كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع لـه أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

٣- إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقـد وجود متصرف مع الله ﷻ في أي شيء من تدبير الكون من إيجـاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفـع شر أو غير ذلك مـن معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم.

---

(١) سورة الجاثية آية : ٢٤ .

الفصل الثاني: توحيد الألوهية

الألوهية مشتقة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسماء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو سبحانه المألوه المعبود الذي يجب أن تألهه القلوب وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه سبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبدُ علمَ اليقِين أن الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقا أفرد الله بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر الوالدين وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضا من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتم تناول جملةٍ من المباحث المهمة المتعلقة بهذا النوع من التوحيد.

المبحث الأول: أدلته، وبيان أهميته

المطلب الأول: أدلته.

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة علـى وجـوب إفـراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

١ - تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [1] (البقـرة: ٢١)، وقولـه: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ [2] (النساء: ٣٦)، وقوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [3] (الإسراء: ٢٣)، ونحوها من الآيات.

٢ - وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [4] (الذاريات: ٥٦).

٣ - وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كمـا في قولـه تعـالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [5] (النحـل: ٣٦)، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [6] (الأنبياء: ٢٥).

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١ .
(٢) سورة النساء آية : ٣٦ .
(٣) سورة الإسراء آية : ٢٣ .
(٤) سورة الذاريات آية : ٥٦ .
(٥) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٦) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

٤ - وتارة ببيان أنه المقصود من إنـزال الكتب الإلـهية، كمـا في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [1] (النحل: ٢).

٥ - وتـارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمـة ونعم كريمة في الدنيـا والآخرة، كما قال الله تعـالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [2] (الأنعام: ٨٢).

٦ - وتارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعـد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [3] (المائدة: ٧٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [4] (الإسراء: ٣٩).

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليـه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

١ - ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ ﴿ يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال: الله ورسوله أعلم. قـال: أن يعبدوه ولا

---

(١) سورة النحل آية : ٢ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٨٢ .
(٣) سورة المائدة آية : ٧٢ .
(٤) سورة الإسراء آية : ٣٩ .

يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال: الله ورسـوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم ﴾ [1] [2] .

٢ - وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بعث النبي ﷺ معاذا نحو اليمن قال لـه: ﴿ إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكـن أول مـا تدعوهـم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فـرض عليـهم خمـس صلوات ﴾ [3] ....، الحديث، رواه البخاري [4].

٣ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال: ﴿ مـن مـات وهـو يـدعو من دون الله نـدا دخل النار ﴾ [5] ، رواه البخاري [6] .

٤ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شـيئا دخـل النـار ﴾ [7] ، رواه مسلم [8] .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

المطلب الثاني بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل

---

(١) البخاري التوحيد (٦٩٣٨) ، مسلم الإيمان (٣٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٤٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٩٦) ، أحمد (٢٣٠/٥) .

(٢) صحيح البخاري (٧٣٧٣) .

(٣) البخاري المغازي (٤٠٩٠) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

(٤) صحيح البخاري (٧٣٧٢) .

(٥) البخاري تفسير القرآن (٤٢٢٧) ، مسلم الإيمان (٩٢) ، أحمد (٤٤٣/١) .

(٦) صحيح البخاري (٤٤٩٧) .

(٧) البخاري العلم (١٢٩) ، مسلم الإيمان (٣٢) ، أحمد (٢٤٤/٣) .

(٨) صحيح مسلم (٩٣) .

المطلب الثاني: بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملـها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقـده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعـوة الرسـل وغايـة رسالتهم وأساس دعوتم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [1] (النحـل: ٣٦)، وقـال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2] (الأنبياء: ٢٥).

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة أن توحيد الألوهية هو مفتـاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [3] (الأعراف: ٦٥)، وقال تعـالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [4] (الأعـراف: ٧٣)، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [5] (الأعراف: ٨٥).

المطلب الثالث: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

تقدم أن توحيد العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم، فمـا مـن رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء

---

(١) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٦٥ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٧٣ .
(٥) سورة الأعراف آية : ٨٥ .

وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعونهم إلى توحيـد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] (نوح: ٢٣-٢٤)، وقال عن قوم هود عليه السـلام: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] (الأحقاف: ٢٢)، ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [3] (هود: ٥٣).

وقال عن قوم صالح عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ [4] (هود: ٦٢).

وقال عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [5] (هود: ٨٧).

وقال عن كفـار قريـش: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ

(١) سورة نوح آية : ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) سورة الأحقاف آية : ٢٢ .
(٣) سورة هود آية : ٥٣ .
(٤) سورة هود آية : ٦٢ .
(٥) سورة هود آية : ٨٧ .

وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾ [1] (ص: ٤-٧).

وقال: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٤﴾ ﴾ [2] (الفرقان: ٤١-٤٤).

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدل أوضح دلالة أن المعترك والخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنما كان حول توحيد العبادة والدعوة إلى إخلاص الدين لله.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله ﴾ [3] [4].

وثبت في الصحيح أيضا عن النبي ﷺ قال: ﴿ من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله ﴾ [5] [6].

(١) سورة ص آية : ٤ - ٧ .
(٢) سورة الفرقان آية : ٤١ - ٤٤ .
(٣) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .
(٤) صحيح البخاري برقم (٥٢) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢) .
(٥) مسلم الإيمان (٢٣) ، أحمد (٣٩٤/٦) .
(٦) صحيح مسلم برقم (٢٣) .

المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مطالب

المطلب الأول: معنى العبادة والأصول التي تُبنى عليها.

العبادة في اللغة: الذل والخضوع، يقال: بعير معبد، أي: مذلل، وطريـق معبد: إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

وشرعا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمـال الظاهرة والباطنة.

وسيأتي ما يوضح ذلك عند ذكر بعض أنواع العبادة.

وهي تبنى على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [(1)] (البقرة: ١٦٥).

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالى: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ ﴾ [(2)] (الإسراء: ٥٧).

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قـال تعـالى: ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [(3)] (الإسراء: ٥٧).

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتـاب في قوله سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [(4)] ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ [(5)] ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [(6)]، فالآية الأولى فيها المحبة؛ فإن الله منعم، والمنعم يُحب علـى

(١) سورة البقرة آية : ١٦٥ .
(٢) سورة الإسراء آية : ٥٧ .
(٣) سورة الإسراء آية : ٥٧ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(٥) سورة الفاتحة آية : ٣ .
(٦) سورة الفاتحة آية : ٤ .

قـدر إنعامه، والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة ترجى رحمتـه، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يخاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ذلك: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [1] ، أي: أعبدك يا رب هـذه الثلاث: بمحبتك التي دل عليها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [2] ، ورجائك الـذي دل عليه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [3] ، وخوفـك الـذي دل عليـه: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [4] .

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

١ - الإخلاص فيها للمعبود ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخـالص لوجهه سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [5] (البينة: ٥)، وقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [6] (الزمر: ٣)، وقال تعـالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤ ﴾ [7] (الزمر: ١٤).

٢ - المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (

(١) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(٣) سورة الفاتحة آية : ٣ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٤ .
(٥) سورة البينة آية : ٥ .
(٦) سورة الزمر آية : ٣ .
(٧) سورة الزمر آية : ١٤ .

[1] (الحشر: ٧)، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [2] (النساء: ٦٥).

وقوله ﷺ ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [3] [4] (أي مردود عليه).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصا لله صوابا على سنة رسول الله ﷺ قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [5] (هود: ٧، الملك: ٢): " أخلصه وأصوبه "، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه ؟ قال: " إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة " [6].

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [7] (الكهف: ١١٠).

---

(١) سورة الحشر آية : ٧ .
(٢) سورة النساء آية : ٦٥ .
(٣) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٧٠) .
(٤) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧) .
(٥) سورة هود آية : ٧ .
(٦) حلية الأولياء : (٨ / ٩٥) .
(٧) سورة الكهف آية : ١١٠ .

المطلب الثاني: ذكر بعض أنواع العبادة.

العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلـي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، وفيما يلي ذكر بعـض الأمثلة على ذلك:

١ - فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قـال الله تعـالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [1] (غافر: ١٤)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [2] (الجن: ١٨)، وقال تعـالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [3] (الأحقاف: ٥ - ٦).

فمن دعا غير الله ﷻ بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كـافر سـواء كان المدعو حيا أو ميتا، ومن دعا حيا. بما يقدر عليه مثل أن يقـول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتا أو غائبا. بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم. بمثل هذا.

والدعاء نوعان: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، ودعاء العبـادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان مقالـه ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعـاء غـير الله والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة.

---

(١) سورة غافر آية : ١٤ .
(٢) سورة الجن آية : ١٨ .
(٣) سورة الأحقاف آية : ٥ ، ٦ .

٢، ٣، ٤ - ومن أنواع العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وقد تقـدم الكلام عليها وبيان أنا أركان للعبادة.

٥ - **ومن أنواعها:** التوكل، وهو الاعتماد على الشيء.

والتوكل على الله: هو صدق تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتمادا عليـه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيـل المنـافع ودفـع المضار، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [1] (المائدة: ٢٣)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ [2] (الطلاق: ٣).

٦، ٧، ٨- **ومن أنواع العبادة:** الرغبة والرهبة والخشوع.

فأما الرغبة: فمحبة الوصول إلى الشيء المحبوب، والرهبة: الخوف المثمـر للهرب من المخوف، والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسـلم لقضائه الكوني والشرعي، قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة مـن العبادة: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [3] (الأنبياء: ٩٠).

٩ - **ومن أنواعها:** الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة مـن يخشاه وكمال سـلطانه، قـال الله تعـالى: ﴿ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ ﴾ [4] (البقرة: ١٥٠).

﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ﴾ [5] (المائدة: ٣).

---

(١) سورة المائدة آية : ٢٣ .
(٢) سورة الطلاق آية : ٣ .
(٣) سورة الأنبياء آية : ٩٠ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٥٠ .
(٥) سورة المائدة آية : ٣ .

١٠- **ومنها الإنابة ،** وهي الرجوع إلى الله تعـالى بالقيـام بطاعتـه واجتناب معصيته، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [(١)] (الزمـر: ٥٤).

١١ - **ومنها: الاستعانة ،** وهي طلب العون من الله في تحقيـق أمـور الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [(٢)] ، وقـال ﷺ في وصيته لابن عباس: ﴿ إذا استعنت فاستعن بالله ﴾ [(٣)] [(٤)] .

١٢ - **ومنها: الاستعاذة ،** وهي طلب الإعاذة والحماية من المكـروه، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾ [(٥)] وقال تعالى ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ﴾ [(٦)] .

١٣ - **ومنها الاستغاثة ،** وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشـدة والهلاك، قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ [(٧)] (الأنفال: ٩).

١٤ - **ومنها الذبح ،** وهو إزهاق الروح بإراقـة الـدم علـى وجـه الخصوص تقربا إلى الله، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ ﴾ [(٨)] (الأنعام: ١٦٢)، وقال تعـالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ ﴾ [(٩)] (الكوثر: ٢).

---

(١) سورة الزمر آية : ٥٤ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٣) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٣٠٨/١) .
(٤) سنن الترمذي (٢٥١٦) ، ومسند أحمد (١ / ٣٠٧) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه الحاكم .
(٥) سورة الفلق آية : ١ ، ٢ .
(٦) سورة الناس آية : ١ - ٤ .
(٧) سورة الأنفال آية : ٩ .
(٨) سورة الأنعام آية : ١٦٢ .
(٩) سورة الكوثر آية : ٢ .

١٥ - **ومنها النذر ،** وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غـير واجبة، قال الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ ﴾ [(١)] (الإنسان: ٧).

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحـده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالمحبـة والخوف والرجـاء والإنابـة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاسـتغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحـج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

(١) سورة الإنسان آية : ٧ .

المبحث الثالث: حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد

لقد كان النبي ﷺ حريصا أشد الحرص على أمته؛ لتكون عزيزة منيعة محققة لتوحيد الله ﷻ مجانبة لكل الوسائل والأسباب المفضية لما يضاده ويناقضه، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [1] (التوبة: ١٢٨).

وقد أكثر ﷺ في النهي عن الشرك وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة ملة إبراهيم التي بعث بها من كل ما قد يشوبها من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وهذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ فأقام الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعذرة، وأبان السبيل.

وفي المطالب التالية عرض يتبين من خلاله حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده كل طريق يفضي إلى الشرك والباطل.

المطلب الأول: الرقى.

أ- تعريفها: الرقى جمع رقية، وهي القراءة والنفث طلبا للشفاء والعافية، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

ب- حكمها: الجواز، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» [2]، رواه مسلم [3] .

---

(١) سورة التوبة آية : ١٢٨ .

(٢) مسلم السلام (٢٢٠٠) ، أبو داود الطب (٣٨٨٦) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٢٠٠) .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: ﴿رخص رسـول الله ﷺ في الرقيـة مـن العين [(١)] والحمة [(٢)] والنملة﴾ [(٣)]"، رواه مسلم [(٤)] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿مـن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل﴾ [(٥)] ، رواه مسلم [(٦)] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منـا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما﴾ [(٧)] ، رواه البخاري ومسلم [(٨)] .

ج- شروطها: ولجوازها وصحتها شروط ثلاثة:

الأول: أن لا يعتقد أنا تنفع لذاتا دون الله، فإن اعتقد أنا تنفع بذاتـا من دون الله فهو محرم، بل هو شرك، بل يعتقد أنا سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنا محرمة، بل شرك.

الثالث: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنـس الطلاسـم والشعوذة فإنا لا تجوز.

---

(١) " العين " إصابة العائن غيره بعينه بقدر الله .

(٢) " الـحمة " بحاء مهملة مضمومة ثم ميم مخففة : وهي السم ، ومعناه : أذن في الرقية من كل ذات سـم ، مثل لدغة الثعبان ، أو العقرب أو نحوهما .

(٣) " النملة " بفتح النون وإسكان الميم : قروح تخرج من الجنب .

(٤) صحيح مسلم برقم (٢١٩٦) .

(٥) مسلم السلام (٢١٩٨) ، أحمد (٣٠٢/٣) .

(٦) صحيح مسلم برقم (٢١٩٩) .

(٧) البخاري الطب (٥٤١٨) ، مسلم السلام (٢١٩١) ، ابن ماجه الطب (٣٥٢٠) ، أحمد (٤٥/٦) .

(٨) صحيح البخاري برقم (٥٧٤٣) ، وصحيح مسلم برقم (٢١٩١) .

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله: أيرقي الرجل ويسترقي ؟ فقـال: " لا بأس بذلك، بالكلام الطيب ".

د- الرقية الممنوعة: كل رقية لم تتوفر فيها الشروط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أو المرقي أنها تنفع وتؤثر بذاتها، أو تكـون مشتملة على ألفاظ شركية وتوسلات كفرية وألفاظ بدعية، ونحو ذلـك، أو تكون بألفاظ غير مفهومة كالطلاسم ونحوها.

المطلب الثاني: التمائم.

أ- تعريفها: التمـائم جمع تميمة، وهي ما يعلق على العنق وغـيره من تعويـذات أو خرزات أو عظام أو نحوها لجلب نفع أو دفع ضـر، وكان العرب في الجاهلية يعلقونها على أولادهم يتقون بها العـين بزعمـهم الباطل.

ب- حكمها: التحريم،

بل هي نوع من أنواع الشرك؛ لما فيها من التعلق بغير الله؛ إذ لا دافـع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: ﴿ إن الرقـى والتمائم والتولة شرك ﴾ [1] ، رواه أبو داود والحاكم [2] .

وعن عبد الله بن عكيم رضي الله عنه مرفوعا: ﴿ من تعلق شيئا وكل إليـه ﴾ [3] ، رواه أحمد والترمذي والحاكم [4] .

---

(١) أبو داود الطب (٣٨٨٣) ، ابن ماجه الطب (٣٥٣٠) ، أحمد (٣٨١/١) .

(٢) سنن أبي داود برقم (٣٨٨٣) ، ومستدرك (٤ / ٢٤١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٣) الترمذي الطب (٢٠٧٢) .

(٤) مسند أحمد (٤ /٣١٠) ، وسنن الترمذي برقم (٢٠٧٢) ، ومستدرك الحـاكم (٤ / ٢٤١) وصححـه الحاكم .

وعن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعا: ﴿ من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومـن تعلق ودعة فلا ودع الله له ﴾[1]، رواه أحمد والحاكم [2] .

وعن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من علق تميمة فقـد أشرك ﴾ [3]، رواه أحمد [4] . فهذه النصوص وما في معناها في التحذير من الرقـى الشركية التي كـانت هي غالب رقى العرب فنهي عنها لما فيها من الشـرك والتعلق بغير الله تعالى.

ج- وإذا كان المعلق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف فيها أهـل العلم، فذهب بعضهم إلى جواز ذلك، ومنهم من منع ذلك، وقال لا يجـوز تعليق القرآن للاستشفاء، وهو الصواب لوجوه أربعة:

١- عموم النهي عن تعليق التمائم، ولا مخصص للعموم.

٢- سدا للذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن.

٣- أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجـة والاستنجاء، ونحو ذلك.

٤- أن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة بـه علـى المريض فلا تتجاوز.

المطلب الثالث لبس الحلقة والخيط ونحوها

المطلب الثالث: لبس الحلقة والخيط ونحوها.

أ- الحلقة قطعة مستديرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحـو ذلك، والخيط معروف، وقد يجعل من الصوف أو الكتان أو نحوه، وكـانت العرب في الجاهلية تعلق

---

(١) أحمد (١٥٤/٤) .

(٢) مسند أحمد (٤/ ١٥٤) ، ومستدرك الحاكم (٤/ ٢٤٠) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٣) أحمد (١٥٦/٤) .

(٤) مسند أحمد (٤ / ١٥٦) ، وصححه الحاكم (٤/ ٢٤٤) وقال عبد الرحمن بن حسن ورواته ثقات .

هذا ومثله لدفع الضر أو جلب النفع أو اتقاء العين، والله تعالى يقول: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1] (الزمر: ٣٨)، ويقول تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [2] (الإسراء: ٥٦).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه ﴿أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه ؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنا، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا﴾ [3] ، رواه أحمد [4] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [5] (يوسف: ١٠٦) [6] .

ب- حكم لبس الحلقة والخيط ونحو ذلك، محرم فإن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله فهو مشرك شركا أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد وجود خالق مدبر مع الله تعالى الله عما يشركون.

(١) سورة الزمر آية : ٣٨ .
(٢) سورة الإسراء آية : ٥٦ .
(٣) ابن ماجه الطب (٣٥٣١) ، أحمد (٤/٤٤٥) .
(٤) المسند (٤ / ٤٤٥) ، وقال البوصيري إسناده حسن وقال الهيثمي رجاله ثقات .
(٥) سورة يوسف آية : ١٠٦ .
(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٠٧) .

وإن اعتقد أن الأمر لله وحده وأنا مجرد سبب، ولكنه ليس مؤثرا فـهو مشرك شركا أصغر لأنه جعل ما ليس سببا سببا والتفت إلى غير ذلك بقلبه، وفعله هذا ذريعة للانتقال للشرك الأكبر إذا تعلق قلبه بها ورجا منها جلـب النعماء أو دفـع البلاء.

المطلب الرابع التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها

المطلب الرابع: التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

التبرك هو طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

١ - أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم مثل القرآن قال الله تعـالى: ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [(١)] (الأنعام: ٩٢، ١٥٥)، فمـن بركتـه هدايتـه للقلوب وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس وتهذيبه للأخلاق، إلى غير ذلـك من بركاته الكثيرة.

٢ - أن يكون التبرك بأمر غير مشروع، كالتبرك بالأشجار والأحجـار والقبور والقباب والبقاع ونحو ذلك، فهذا كله من الشرك.

فعن أبي واقد الليثي قال: ﴿ خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحـن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة [(٢)] يعكفون عندها وينوطـون بهـا أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يـا رسـول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ الله أكـبر، إنا السـنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنـو إسـرائيل لموسـى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [(٣)] (الأعـراف: ١٣٨)، لتركبن سنـن مـن كـان قبلكـم ﴾ ، رواه الترمـذي وصـححه [(٤)] .

(١) سورة الأنعام آية : ٩٢ .
(٢) السدرة : شجرة ذات شوك .
(٣) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .
(٤) سنن الترمذي برقم (٢١٨٠) .

فقد دل هذا الحديـث على أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبـور والأحجار ونحوها من التبرك با والعكوف عندها والذبح لها هو الشـرك، ولهذا أخبر في الحديث أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لمـا قـالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بـا كمـا يتبرك المشركون، وأولئك طلبوا إلـها كما لهم آلهة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتخاذ إلـه غـير الله شرك واضح.

وفي قوله ﷺ في الحديث: ﴿ لتركبن سنن من كان قبلكـم ﴾ [1] إشـارة إلى أن شيئا من ذلك سيقع في أمته ﷺ وقد قال ذلك عليه الصلاة والسلام ناهيـا ومحذرا.

المطلب الخامس النهي عن أعمال تتعلق بالقبور

المطلب الخامس: النهي عن أعمال تتعلق بالقبور.

لقد كان الأمر في صدر الإسلام على منع زيارة القبور لقرب عـهدهم بالجاهلية حماية لحمى التوحيد وصيانة لجنابه، ولما حسن الإيمان وعظم شـأنه في الناس ورسخ في القلوب واتضحت براهين التوحيد وانكشـفت شـبهة الشرك جاءت مشروعية زيارة القبور محددة أهدافها موضحة مقاصدها.

فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ نيتكم عن زيارة القبور فزوروها ﴾ [2] ، رواه مسلم [3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ ﴿ زوروا القبور فإنـها تذكـر الموت ﴾ [4] (1) .

---

(١) الترمذي الفتن (٢١٨٠) ، أحمد (٢١٨/٥) .

(٢) مسلم الجنائز (٩٧٧) ، النسائي الأشربة (٥٦٥٢) ، أبو داود الأشربة (٣٦٩٨) ، أحمد (٣٥٠/٥) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٩٧٧) .

(٤) مسلم الجنائز (٩٧٦) ، النسائي الجنائز (٢٠٣٤) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣٤) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٧٢) ، أحمد (٢/ ٤٤١) .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال رسول الله ﷺ ﴿إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة﴾ [٢] [٣] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا﴾ [٤] [٥] .

وعن بريدة ﷺ قال: ﴿كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية﴾ [٦] ، رواه مسلم [٧] .

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على أن مشروعية زيارة القبور بعد المنع من ذلك إنما كانت لهدفين عظيمين وغايتين جليلتين:

الأولى: التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلى، والاعتبار بأهل القبور مما يزيد في إيمان الشخص ويقوي يقينه ويعظم صلته بالله، ويذهب عنه الإعراض والغفلة.

الثانية: الإحسان إلى الموتى بالدعاء لهم والترحم عليهم وطلب المغفرة لهم وسؤال الله العفو عنهم.

هذا الذي دل عليه الدليل، ومن ادعى غير ذلك طولب بالحجة والبرهان.

---

(١) صحيح مسلم برقم (٩٧٥) .
(٢) أحمد (٣/٣٨) ، مالك الضحايا (١٠٤٨) .
(٣) مسند أحمد (٣/ ٣٨) ، ومستدرك الحاكم (١/ ٥٣١) .
(٤) أحمد (٣/٢٣٧) .
(٥) مستدرك الحاكم (١ / ٥٣٢) .
(٦) مسلم الجنائز (٩٧٥) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٠) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٤٧) ، أحمد (٥/٣٥٣) .
(٧) صحيح مسلم برقم (٩٧٥) .

ثم إن السنة قد جاءت بالنهي عن أمور عديدة متعلقة بالقبور وزيارتها، صيانة للتوحيد وحماية لجنابه، يجب على كل مسلم تعلمها ليكون في أمنـة من الباطل وسلامة من الضلال، ومن ذلك:

١ - النهي عن قول الهجر عند زيارة القبور.

وقد تقدم قوله ﷺ ﴿ولا تقولوا هجرا﴾ [(١)] ، والمراد بالهجر كل أمر محظـور شرعا، ويأتي في مقدمة ذلك الشرك بالله بدعاء المقبورين وسؤالهم مـن دون الله والاستغاثة بهم وطلب المدد والعافية منهم، فكل ذلك من الشرك البـواح والكفر الصراح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث عديدة صريحة في المنع مـن ذلك والنهي عنه ولعن فاعله، ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبـد الله رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: ﴿ألا إن من كـان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أناكم عن ذلك﴾ [(٢)] [(٣)] . فدعاء الأمـوات وسـؤالهم الحاجـات وصرف شيء من العبادة لهم شرك أكبر، أما العكوف عند القبور وتحـري إجابة الدعاء عندها ومثله الصلاة في المساجد التي فيها القبور فهو من البـدع المنكرة.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال في مرضه الـذي لم يقم منه: ﴿لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾ [(٤)] [(٥)] .

٢ - الذبح والنحر عند القبور.

---

(١) النسائي الجنائز (٢٠٣٣) ، أبو داود الأشربة (٣٦٩٨) ، أحمد (٣٥٥/٥) .

(٢) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٥٣٢) .

(٤) البخاري الجنائز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (٦/ ١٤٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٥) صحيح البخاري برقم (١٣٣٠) ، وصحيح مسلم برقم (٥٣١) .

فإن كان ذلك تقربا إلى المقبورين ليقضوا حاجة للشخص فهو شـرك أكبر وإن كان لغير ذلك فهو من البدع الخطيرة التي هي من أعظم وسـائل الشرك لقوله ﷺ ﴿ لا عقر في الإسلام ﴾ (١) ، قال عبد الرزاق: ﴿ كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة ﴾ (٢) (٣) .

٣، ٤، ٥، ٦، ٧- رفعها زيادة على التراب الخارج منـها، وتجصيصها، والكتابة عليها، والبناء عليها، والقعود عليها.

فكل ذلك من البدع التي ضلت بها اليهود والنصارى وكانت من أعظم ذرائع الشرك، فعن جابر ﷺ قال: ﴿ نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القـبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، وأن يزاد عليه، أو يكتب عليه ﴾ (٤) . رواه مسلم، وأبو داود، والحاكم (٥) .

٨ - الصلاة إلى القبور وعندها.

فعن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها))، رواه مسلم (٦) .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ الأرض كلـها مسجد، إلا المقبرة والحمام ﴾ (٧) . رواه أبو داود والترمذي (٨) .

٩ - بناء المساجد عليها.

---

(١) أبو داود الجنائز (٣٢٢٢) ، أحمد (١٩٧/٣) .
(٢) أبو داود الجنائز (٣٢٢٢) ، أحمد (١٩٧/٣) .
(٣) سنن أبي داود لرقم (٣٢٢٢) .
(٤) مسلم الجنائز (٩٧٠) ، الترمذي الجنائز (١٠٥٢) ، النسائي الجنائز (٢٠٢٧) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٥) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٦٣) ، أحمد (٣٣٩/٣) .
(٥) صحيح مسلم برقم (٩٧٠) ، وسنن أبي داود برقم (٣٢٢٥) ، ورقم (٣٢٢٦) ، ومسـتدرك الحـاكم (١ / ٥٢٥) .
(٦) صحيح مسلم برقم (٩٧٢) .
(٧) الترمذي الصلاة (٣١٧) ، أبو داود الصلاة (٤٩٢) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٤٥) .
(٨) سنن أبي داود برقم (٤٩٢) ، وسنن الترمذي برقم (٣١٧) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارى وتقدم حديث عائشة: ﴿ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾ [(١)] .

١٠ - اتخاذها عيدا.

وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا تتخذوا قبري عيدا [(٢)] ولا تجعلوا بيوتكم قبورا، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني ﴾ ، رواه أبو داود وأحمد [(٣)] .

١١ - شد الرحال إليها.

وهو أمر منهي عنه لأنه من وسائل الشرك فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى ﴾ [(٤)] . رواه البخاري ومسلم [(٥)] .

المطلب السادس: التوسل.

أ- تعريفه: التوسل مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوسيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوسل هو التوصل إلى المراد والسعي في تحقيقه.

وفي الشرع يراد به التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهي عنه.

---

(١) البخاري الجنائز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (٦/ ١٤٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٢) العيد هو الذي يعود ويتكرر مثل عيد الفطر وعيد الأضحى ، فكون الإنسان يكرر الزيارة لقبر الرسول كل يوم من أجل السلام فكأنه يتخذه عيدا ، فنهى الرسول عن ذلك ، أمر المسلم أن يصلي ويسلم عليه وهو في أي مكان كان لأن لله ملائكة سياحين يبلغون الرسول السلام وهذا من يسر هذا الدين إذ ليس باستطاعة كل مسلم أن يأتي إلى المدينة .

(٣) سنن أبي داود برقم (٢٠٤٢) ، ومسند أحمد (٢/ ٣٦٧) .

(٤) البخاري الجمعة (١١٣٢) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤١٠) .

(٥) صحيح البخاري برقم (١١٨٩) ، وصحيح مسلم (١٣٩٧) .

ب- معنى الوسيلة في القرآن الكريم:

وردت لفظة " الوسيلة " في القرآن الكريم في موطنين:

١ - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ ﴾ [(١)] (المائدة: ٣٥).

٢ - قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧ ﴾ [(٢)] (الإسراء: ٥٧).

والمراد بالوسيلة في الآيتين، أي: القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه، فقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائـل والحسن البصري وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد [(٣)] .

وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: " نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين يعبدونم لا يشعرون " [(٤)] .

وهذا صريح في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة والعبادات الجليلة، ولذلك قال: ﴿ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [(٥)] أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله وينالون به مرضاته من الأعمال الصالحة المقربة إليه.

ج- أقسام التوسل:

ينقسم التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

---

(١) سورة المائدة آية : ٣٥ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠) .

(٤) صحيح مسلم برقم (٣٠٣٠) . وصحيح البخاري رقم (٤٧١٤) .

(٥) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

١ - التوسل المشروع: هو التوسل إلى الله بالوسيلة الصحيحـة المشروعة، والطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلى الكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما عنها، فما دل الكتاب والسنة على أنه وسيلة مشروعة فهو من التوسل المشروع، وما سوى ذلك فإنه توسل ممنوع.

والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العظيمة، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني، ونحو ذلك.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾[1] (الأعراف: ١٨٠).

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللهم إنـي أسألك بحبي لنبيك محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني، أو أن يذكر الداعي عملا صالحا ذا بال قام به فيتوسل به إلى ربه، كما في قصة أصحاب الغـار الثلاثة التي سيرد ذكرها.

ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[2] (آل عمران: ١٦)، وقوله تعـالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[3] (آل عمران: ٥٣).

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عبـد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٦ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٥٣ .

أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنـه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه، وأني عمـدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريـت منه بقرا، وأنه أتاني يطلـب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فـرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنا من الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت [1] عنهم الصخـرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنـت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشـيتك ففـرج عنـا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللـهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وإني راودتـها عـن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بـا فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفـض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركـت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلـك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا﴾ . رواه البخاري [2] .

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائـه، كأن يذهب المسلم إلى رجل يرى فيه الصلاح والتقوى والمحافظة على طاعـة الله، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج كربته وييسر أمره.

---

(١) فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ، كما في حديث سالم .

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٦٥) .

ويدل على مشروعية هذا النوع أن الصحابة رضي الله عنـهم كـانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو لهم بدعاء عام ودعاء خاص.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿أن رجلا دخل يـوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاسـتقبل رسول ﷺ قائما فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسـقنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعـة [1] ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت مـن ورائـه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل رجل من ذلك البـاب في الجمعـة المقبلـة- ورسول الله ﷺ قائم يخطب- فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله، هلكـت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسـول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والظـراب ومنابت الشجر، قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس﴾ . قال شـريك: فسألت أنسا: أهو الرجل الأول ؟ قال: لا أدري [2] .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما ﴿ذكر أن في أمته سبعين ألفـا يدخلـون الجنة بغير حساب ولا عذاب وقال: (هم الذي لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) قام عكاشة بن محصن فقال: يا رسـول الله ادع الله أن يجعلني منهم،

(١) سحاب متفرق .

(٢) صحيح البخاري برقم (١٠١٣) ، وصحيح مسلم رقم (٨٩٧) .

فقال: ﴿أنت منهم﴾ [1] [2] . ومن ذلك حديث ذكر النبي ﷺ أويسا القرني وفيه قال: ﴿فاسألوه أن يستغفر لكم﴾ .

وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أما بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

٢ - التوسل الممنوع: هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

١ - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

٢ - التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

٣ - التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به. قال تعالى: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ﴾ [3] (يونس: 59) ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾ [4] (النجم: ٣٩)، ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

---

(١) البخاري الطب (٥٤٢٠) ، مسلم الإيمان (٢٢٠) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٤٦) ، أحمد (٢٧١/١) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٠٥) ، وصحيح مسلم برقم (٢١٨) .

(٣) سورة يونس آية : ٥٩ .

(٤) سورة النجم آية : ٣٩ .

قال أبو حنيفة رحمه الله: ((يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فـلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام)).

د- شبهات وردها في باب التوسل.

قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعض الشبهات والاعتراضـات في باب التوسل؛ ليتوصلوا بها إلى دعم تقريراتهم الخاطئة، وليوهمـوا عـوام المسلمين بصحة ما ذهبوا إليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:

الأول: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدل بها هؤلاء علـى مـا ذهبوا إليه، وهذه يفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحتها وثبوتها، ومن ذلك:

١ - حديث: ﴿ توسـلوا بجاهي فإن جاهي عنـد الله عظيـم ﴾ ، أو ﴿ إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم ﴾ ، وهو حديث بـاطل لم يـروه أحـد مـن أهل العلم، ولا هو في شـيء من كتـب الحديـث.

٢ - حديث: ﴿ إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور ﴾ ، أو ﴿ فاسـتغيثوا بأهل القبور ﴾ ، وهو حديث مكذوب مفترى على النبي ﷺ باتفاق العلماء.

٣ - حديث: ﴿ لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه ﴾ ، وهو حديث بـاطل مناقـض لدين الإسلام، وضعه بعض المشركين.

٤ - حديث: ﴿ لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لمـا غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال: يا رب لمـا خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيـت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمـك إلا أحـب الخلـق إليـك،

فقـال: غفـرت لـك ولـولا محمـد مـا خلقتك ﴾ [(١)] وهو حديث باطل لا أصل له، ومثله حديث: ﴿لولاك ما خلقـت الأفلاك﴾ .

فمثل هذه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفقة لا يجوز لمسـلم أن يلتفت إليها فضلا عن أن يحتج بها ويعتمدها في دينه.

الثاني: أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ يسـيء هـؤلاء فهمـها ويحرفونها عن مرادها ومدلولها، ومن ذلك:

١ - ما ثبت في الصحيح: ﴿أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطـوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيـنا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون﴾ [(٢)] [(٣)] .

ففهمـوا مـن هـذا الـحديـث أن تـوسـل عمر رضي الله عنه إنما كان بجـاه العبـاس رضي الله عنه ومكانته عند الله عز وجل وأن المراد بقولـه: ﴿كنـا نتوسل إليك بنبينا [أي بجاهه] فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيـنا﴾ [(٤)] [أي بجاهه].

وهذا ولا ريب فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدل عليه سياق النص لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ لم يكن معروفا لدى الصحابة التوسل إلى الله بـذات النبي ﷺ أو جاهه، وإنما كانوا يتوسلون إلى الله بدعائه حال حياتـه كمـا تقدم بعض هذا المعنى، وعمر رضي الله عنه لم يرد بقوله: ﴿إنا نتوسل إليك بعم نبينا﴾ [(٥)] أي ذاته أو جاهه، وإنما أراد دعاءه، ولو كان التوسل بـالذات أو الجاه معروفا عندهم لما عدل عمر عن التوسل بـالنبي ﷺ إلى

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج ١ / ٨٨ ح ٢٥ .
(٢) البخاري الجمعة (٩٦٤) .
(٣) صحيح البخاري برقم (١٠١٠) .
(٤) البخاري الجمعة (٩٦٤) .
(٥) البخاري الجمعة (٩٦٤) .

التوسـل بالعباس ﷺ بل ولقال له الصحابة إذ ذاك كيف نتوسـل بمثـل العباس ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق، فلما لم يقـل ذلك أحد منهم، وقد علم أنم في حياته إنما توسلوا بدعائه، وبعد مماتـه توسـلوا بدعاء غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بدعـاء المتوسـل لا بذاته.

وبذا يتبين أن الحديث ليس فيه متمسك لمن يقول بجـواز التوسـل بالذات أو الجاه.

٢ - حديث عثمان بن حنيف: ﴿ أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضـوءه ويدعـو بـهـذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في ﴾[(١)]، رواه الـترمذي وأحمد وقال البيهقي إسناده صحيح[(٢)].

ففهموا من الحديث أنه يدل على جواز التوسل بجاه النبي ﷺ أو غـيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإن الأعمى قد طلب مـن النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: ﴿ إن شئت صبرت وإن شئت دعوت ﴾ [(٣)] ، فقال: فادعه، إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديـث المصرحة بأن هذا توسل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهـل العلم هذا الحديث من معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، فإنه ﷺ ببركـة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ولهـذا أورده البيـهقي في دلائـل النبوة [(٤)] .

---

(١) الترمذي الدعوات (٣٥٧٨) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٨٥) .
(٢) سنن الترمذي برقم (٣٥٧٨) ، ومسند أحمد (٤ / ١٣٨) .
(٣) البخاري المرضى (٥٣٢٨) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٧٦) ، أحمد (٣٤٧/١) .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ١٦٧) .

وأما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإن مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعـذر دعاء النبي ﷺ لأحد بعد الموت، كما قال النبي ﷺ ﴿إذا مات الإنسان انقطـع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو لـه﴾ [(١)] ، رواه مسلم [(٢)] .

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنقطع بالموت.

وعلى كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إما لعدم صحته، أو لعدم دلالته على ما ذهبوا إليه.

المطلب السابع: الغلو.

أ- **تعريفه:** الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق.

وفي الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيـدة أو العبادة.

ب- **حكمه:** التحريم؛ لما جاء من النصوص في النهي عنه والتحذيـر منه وبيـان سـوء عواقبه على أهله في العاجل والآجل. قال الله تعـالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [(٣)] (النساء: ١٧١).

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧ ﴾ [(٤)] (المائدة: ٧٧).

---

(١) مسلم الوصية (١٦٣١) ، الترمذي الأحكام (١٣٧٦) ، النسائي الوصايا (٣٦٥١) ، أبو داود الوصايا (٢٨٨٠) ، أحمد (٢/ ٣٧٢) ، الدارمي المقدمة (٥٥٩) .

(٢) صحيح مسلم برقم (١٦٣١) .

(٣) سورة النساء آية : ١٧١ .

(٤) سورة المائدة آية : ٧٧ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسـول الله ﷺ قـال: ﴿إيـاكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين﴾ [1] ، رواه أحمد والحـاكـم وصححه ووافقه الذهبي [2] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿هلك المتنطعون﴾ [3] ، قالهـا ثلاثا، رواه مسلم [4] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لا تطروني كمـا أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنمـا أنـا عبـد الله ورسـوله﴾ [5] ، رواه البخاري [6] .

والمراد هذا الحديث، أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كمـا غلـت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبد الله فصفـوني بما وصفني به ربي، وقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى الضلال إلا مخالفة لأمـره وارتكابا لنهيه وناقضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب وتفريـج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله وحده لا شريك لـه، وكل ذلك من الغلو في الدين.

---

(١) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧) ، ابن ماجه المناسك (٣٠٢٩) ، أحمد (٣٤٧/١) .
(٢) المسند (١ / ٣٤٧) ، والمستدرك (١ / ٦٣٨) .
(٣) مسلم العلم (٢٦٧٠) ، أبو داود السنة (٤٦٠٨) ، أحمد (٣٨٦/١) .
(٤) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٠) .
(٥) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، أحمد (٢٤/١) .
(٦) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥) .

المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما

وفيه مطالب

ما من ريب أن في معرفة المسلم للشرك والكفر وأسبابهما ووسـائلهما وأنواعهما فوائد عظيمة، إذا عرفها معرفة يقصد من ورائها السلامة من هذه الشرور والنجاة من تلك الآفات، والله سبحانه يحـب أن تعرف سبيل الحـق لتحب وتسلك، ويحب أن تعرف سبل الباطل لتجتنب وتبغـض، والمسـلم كما أنه مطالب بمعرفة سبيل الخير ليطبقها، فهو كذلك مطالب بمعرفة سـبل الشر ليحذرها، ولهذا ثبت في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان رضـي الله عنهما أنه قال: ﴿ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسـأله عن الشر مخافة أن يدركني ﴾ [1] [2] .

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه " إنما تنقض عـرى الإسـلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ".

والقرآن الكريم مليء بالآيات المبينة للشرك والكفر والمحذرة من الوقـوع فيهما، والدالة على سوء عاقبتهما في الدنيا والآخرة، بل إن ذلك مقصـد عظيم من مقاصد القرآن الكريم والسنة المطهرة، كمـا قـال الله تعـالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ ﴾ [3] (الأنعام: 55).

وفيما يلي ذكر لبعض المطالب المهمة المتعلقة بهذا الجانب.

المطلب الأول: الشرك.

أ- تعريفه: يطلق الشرك في اللغة على التسوية بين الشيئين.

وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

---

(١) البخاري المناقب (٣٤١١) ، مسلم الإمارة (١٨٤٧) ، أحمد (٣٨٧/٥) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٨٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٧) .

(٣) سورة الأنعام آية : ٥٥ .

١ - المعنى العام: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سـبحانه، ويندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: الشرك في الربوبية، وهو تسوية غير الله بالله فيمـا هـو مـن خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجـاد والإماتة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [1] (فاطر: ٣).

الثاني: الشـرك في الأسماء والصفات، وهو تسوية غـير الله بـالله في شيء منها، والله تعالى يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [2] (الشورى: ١١).

الثالث: الشرك في الألوهية، وهو تسوية غير الله بالله في شـيء مـن خصائص الألوهية، كالصلاة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبـح والنـذر ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [3] (البقرة: ١٦٥).

٢- المعنى الخاص: وهو أن يتخذ لله ندا يدعوه كـما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهـذا هو المعنى المتبادر من كلمة " الشرك " إذا أطلقت في القرآن أو السنة.

---

(١) سورة فاطر آية : ٣ .

(٢) سورة الشورى آية : ١١ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

ب- الأدلة على ذم الشرك وبيان خطره.

لقد تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرك والتحذير منه وبيان خطـره وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة.

١ - فقد أخبر الله سـبحانه أنه الذنب الذي لا يغفره إلا بالتوبة منـه قبل الموت، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١) (النساء: ٤٨).

٢ - ووصفه بأنه أظلم الظلم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢) (لقمان: ١٣).

٣ - وأخبر أنه محبط للأعمال، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٣) (الزمر: ٦٥).

٤ - ووصفه بأن فيه تنقصا لرب العالمين ومساواة لغيره به، فقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (٤) (الشعراء: ٩٦- ٩٨).

٥ - وأخبر أن من مات عليه يكون مخلدا في نار جهنم، فقال تعـالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٥) (المائدة: ٧٢).

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة، وهي كثيرة جدا في القرآن الكريم.

---

(١) سورة النساء آية : ٤٨ .
(٢) سورة لقمان آية : ١٣ .
(٣) سورة الزمر آية : ٦٥ .
(٤) سورة الشعراء آية : ٩٦ - ٩٨ .
(٥) سورة المائدة آية : ٧٢ .

ج- سبب وقوع الشرك:

إن أصل الشرك وسبب وقوعه في بني آدم هـو الغلـو في الصـالحين المعظمين، وتجاوز الحد في إطرائهم ومدحهم والثناء عليهم، قال الله تعـالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] (نـوح: ٢٣- ٢٤).

فهذه أسـماء رجـال صـالحين من قوم نوح لما مـاتوا جعلـوا لـهم أصنـامـا على صـورهم وسـموها بأسمائهم قـاصدين بذلك تعظيمهم وتخليد ذكرهم وتذكر فضلهم إلى أن آل بـهم الأمـر إلى عبادتم.

ويشـهد لـهذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنـه قـال: " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أمـا ود فكـانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمـراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأمـا نسـر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسـون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ (ونسخ العلم) [2] العلـم عبدت " [3] .

روى ابن جرير الطبري عن محمد بن قيس عند قوله تعالى: وقالوا لا تذرن آلهتك الآية، قال: " كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهـم أتباع يقتدون هم، فلما ماتوا قال أصحابم الذين كانوا يقتدون بـم: لـو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا

(١) سورة نوح آية : ٢٣ - ٢٤ .
(٢) أي علم تلك الصور بخصوصها .
(٣) صحيح البخاري برقم (٤٩٢٠) .

ذكرناهم، فصوروهم، فلما مـاتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهـم يسـقون المطر، فعبدوهم "[1] . فجمعوا بين فتنتين:

الأولى: العكوف عند قبورهم.

الثانية: تصوير صورهم ونصبها في مجالسهم والجلوس إليها.

فبهذا وقع الشرك لأول مرة في تاريخ البشرية فهما أعظم وسائل الشرك في كل زمان ومكان.

د- أنواع الشرك: ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر.

١ - الشرك الأكبر: هو اتخاذ ند مع الله يعبد كما يعبد الله، وهـو ناقل من ملة الإسلام محبط للأعمال كلها، وصاحبه إن مات عليه يكـون مخلدا في نار جهنم لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها.

أنواع الشرك الأكبر: وينقسم الشرك الأكبر إلى أربعة أنواع:

١ - شرك الدعوة، أي الدعاء، وذلك أن الدعاء من أعظـم أنـواع العبادة، بل هو لب العبادة كما قال النبي ﷺ « الدعاء هو العبـادة »[2] ، رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح[3] قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[4] (غافر: ٦٠).

ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، فمن دعا نبيا أو ملكـا أو وليا أو قبرا أو حجرا أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر، كمـا قال تعالى: ﴿ وَمَن

---

(١) تفسير الطبري (١٢ / ٢٥٤) .

(٢) الترمذي تفسير القرآن (٢٩٦٩) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٢٨) .

(٣) مسند أحمد (٤ / ٢٦٧) ، وسنن الترمذي برقم (٢٩٦٩) .

(٤) سورة غافر آية : ٦٠ .

يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [1] (المؤمنون: ١١٧).

ومن الأدلة على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قوله تعـالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] (العنكبوت: ٦٥)، فأخبر عن هؤلاء المشركين بأنهم يشـركون بالله في رخائهم، ويخلصون له في كربهم وشدتهم، فكيف بمن يشرك بالله في الرخاء والشدة عياذا بالله.

٢ - شرك النية والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيـا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخلص، ولم يقصد بها وجـه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعـالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [3] (هود: ١٥-١٦).

وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة.

٣ - شرك الطاعة، فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله أو تحـريم ما أحل الله، ويعتقد ذلك بقلبه أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويحرموا ويسـوغ له ولغيره طاعته في ذلك مع علمه بأنه مخالف لدين الإسلام فقد اتخذهـم أربابا من دون الله وأشرك بالله الشرك الأكبر.

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١١٧ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ٦٥ .

(٣) سورة هود آية : ١٥ - ١٦ .

قال الله تعـالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1] (التوبة: ٣١).

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصيـة (أي في تبديل حكـم الله) لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حـاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم ؟ فذكر له أن عبادتم طاعتهم في المعصيـة (في تبديل حكـم الله)، فقال: ﴿ أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون مـا حرم الله فتحلونه ﴾ ، قال: بلى. قال: ﴿ فتلك عبادتم ﴾ ، رواه الترمذي وحسنه، والطبراني في المعجم الكبير [2] .

٤ - شرك المحبة، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجـلال والتعظيـم والذل والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر، والدليل قوله تعـالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [3] (البقرة: ١٦٥).

٢- النوع الثاني من أنواع الشرك، الشرك الأصغر:

وهو كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو مـا جاء في النصوص تسميته شركا ولم يصل إلى حد الأكبر، وهو يقع في هيئـة العمل وأقوال اللسان. وحكمه تحت المشيئة كحكم مرتكب الكبيرة.

ومن أمثلته ما يلي:

---

(١) سورة التوبة آية : ٣١ .

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٠٩٥) ، والمعجم الكبير للطبراني (١٧ / ٩٢) .

(٣) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

أ- يسير الرياء، والدليل ما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: ومـا الشـرك الأصغر يا رسول الله قال: (الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جـازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ﴾ [1] [2] .

ب- قول: " ما شاء الله وشئت "، روى أبو داود في سننه عن النبي ﷺ ﴿ لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شـاء الله ثم شـاء فلان ﴾ [3] [4] .

ج- قـول: " لـولا الله وفـلان "، أو قول: " لـولا البـط لأتانـا اللصوص "، ونـحو ذلك، روى ابـن أبـي حاتم في تفسيره عـن ابـن عبـاس رضـي الله عنهمـا في معنى قـوله تعـالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [5] قـال: " الأنداد هو الشـرك أخفى مـن دبيب النمل على صفاة سـوداء في ظلمة الليـل، وهـو أن تقـول: والله وحياتـك يـا فلانـة وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصـوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لأصحابه: مـا شـاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كلـه بـه شرك " [6].

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

---

(١) أحمد (٤٢٨/٥) .

(٢) مسند أحمد (٥ / ٤٢٨) ، قال المنذري إسناده جيد ، الترغيب والترهيب (١ / ٤٨) ، وقال الهيثمي : رجالـه رجال الصحيح ، مجمع (١/ ١٠٢) .

(٣) أبو داود الأدب (٤٩٨٠) ، أحمد (٣٩٩/٥) .

(٤) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٠) ، قال الذهبي في مختصر البيهقي (١ / ١٤٠ / ٢) إسناده صالح .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٢ .

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٦٢) .

١ - أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحـت المشيئة.

٢- أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فـلا يحبـط إلا العمل الذي قارنه.

٣- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغـر فلا يخرجه منها.

٤- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليـه الجنـة، وأمـا الأصغر فكغيره من الذنوب.

المطلب الثاني: الكفر.

أ- تعريفه: الكفر لغة يطلق على الستر والتغطية.

وشـرعـا: ضد الإيمان، وهـو: عدم الإيمان بالله ورسـوله، سـواء كان معـه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عـن شـك وريـب، أو إعراض عن ذلك حسدا وكبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتبـاع الرسالة.

ب- أنواع الكفر:

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلـود في النـار، والأصغـر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

أولا: الكفر الأكبر:

وهو خمسة أنواع:

أ- كفـر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسـل عليهم السـلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر، والدليل قوله تعـالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [1] (العنكبوت: ٦٨).

٢ - كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالما بصدق الرسـول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارا وعنادا، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2] (البقرة: ٣٤).

٣ - كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال لـه كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] (الكهف: ٣٥- ٣٨).

٤ - كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعـرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ والدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [4] (الأحقاف: ٣).

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٦٨ .
(٢) سورة البقرة آية : ٣٤ .
(٣) سورة الكهف آية : ٣٥ - ٣٨ .
(٤) سورة الأحقاف آية : ٣ .

٥ - كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر (١) والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (٢) (المنافقون: ٣).

والنفاق على ضربين:

١ - نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من الملة وهو ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصار دين الرسول.

٢ - ونفاق عملي وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنه جريمة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبي ﷺ في الحديث حيث قال: ﴿ أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ﴾ (٣) متفق عليه (٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: ﴿ آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان ﴾ (٥)، رواه البخاري (٦).

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٣٤٦).

(٢) سورة المنافقون آية : ٣ .

(٣) البخاري الإيمان (٣٤) ، مسلم الإيمان (٥٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢٠) ، أبو داود السنة (٤٦٨٨) ، أحمد (١٨٩/٢) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٤) ، وصحيح مسلم برقم (٥٨) .

(٥) البخاري الإيمان (٣٣) ، مسلم الإيمان (٥٩) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣١) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢١) ، أحمد (٥٣٦/٢) .

(٦) صحيح البخاري برقم (٣٣) .

ثانيا: الكفر الأصغر:

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [1] (النحل: ١١٢).

وفي قوله ﷺ ﴿ اثنتان في الناس هما بم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت ﴾ [2] ، رواه مسلم [3] .

وفي قوله ﷺ ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ [4] ، رواه البخاري ومسلم [5].

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [6] (الحجرات: ٩، ١٠)، فسماهم الله ﷻ مؤمنين مع الاقتتال.

---

(١) سورة النحل آية : ١١٢ .

(٢) مسلم الإيمان (٦٧) ، الترمذي الجنائز (١٠٠١) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٦٧) .

(٤) البخاري العلم (١٢١) ، مسلم الإيمان (٦٥) ، النسائي تحريم الدم (٤١٣١) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٤٢) ، أحمد (٣٥٨/٤) ، الدارمي المناسك (١٩٢١) .

(٥) صحيح البخاري برقم (١٢١) ، وصحيح مسلم برقم (٦٥) .

(٦) سورة الحجرات آية : ٩ ، ١٠ .

ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [1] (النساء: ٤٨)، فدلـت الآية الكريمة على أن كل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي إن شـاء الله عذبـه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه من أول وهلة، إلا الشرك به فإن الله لا يغفـره كما هو صريح في الآية وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [2] (المائدة: ٧٢).

(١) سورة النساء آية : ٤٨ .
(٢) سورة المائدة آية : ٧٢ .

المبحث الخامس: ادعاء علم الغيب وما يلحق به

الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار مـن الأمـور الحـاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله ﷻ بعلمه واختص نفسه سـبحانه بذلك.

قال الله تعـالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [1] (النمل: ٦٥)، وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [2] (الكهف: ٢٦)، وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [3] (الرعد: ٩).

فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن هو دونهما.

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [4] (هود: ٣١)، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ ﴾ [5] (الأحقاف: ٢٣)، وقال تعـالى لنبيـه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [6] (الأنعام: ٥٠)، وقـال تعـالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [7] (البقرة: ٣١- ٣٢).

---

(١) سورة النمل آية : ٦٥ .
(٢) سورة الكهف آية : ٢٦ .
(٣) سورة الرعد آية : ٩ .
(٤) سورة هود آية : ٣١ .
(٥) سورة الأحقاف آية : ٢٣ .
(٦) سورة الأنعام آية : ٥٠ .
(٧) سورة البقرة آية : ٣١ - ٣٢ .

ثم إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريق الوحي، كما قال تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] (الجن: ٢٦-٢٨)، وهذا من الغيب النسبي الذي غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به.

ولهذا فإن الواجب على كل مسلم أن يحذر من الدجاجلة والكذابين المدعين لعلم الغيب المفترين على الله، الذين ضلوا في أنفسهم وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، كالسحرة والكذابين والمنجمين، وغيرهم.

وفيما يلي عرض لجملة من أعمال هؤلاء التي يدعون بها علم الغيب، ويضلون بها عوام المسلمين وجهالهم، ويفسدون بها عقيدتهم وإيمانهم.

١ - **السحر:** وهو في اللغة ما خفي ولطف سببه.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، والساحر كافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [2] (البقرة: ١٠٢).

(١) سورة الجن آية : ٢٦ - ٢٨ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

ومنه النفث في العقد، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [(١)] .

٢ - **التنجيم:** وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ﴾ [(٢)] ، رواه أبو داود [(٣)] .

٣ - **زجر الطير والخط في الأرض:** فعن قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ العيافة والطيرة والطرق من الجبت ﴾ [(٤)] [(٥)] أي من السحر، والعيافة زجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتا وممرها، والطرق الخط يخط في الأرض، أو الضرب بالحصى وادعاء علم الغيب.

٤ - **الكهانة:** وهي ادعاء علم الغيب، والأصل فيها استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ﴾ [(٦)] رواه أبو داود وأحمد والحاكم [(٧)] .

---

(١) سورة الفلق آية : ١ - ٥ .
(٢) أبو داود الطب (٣٩٠٥) ، ابن ماجه الأدب (٣٧٢٦) ، أحمد (٢٢٧/١) .
(٣) سنن أبي داود برقم (٣٩٠٥) .
(٤) أبو داود الطب (٣٩٠٧) ، أحمد (٤٧٧/٣) .
(٥) سنن أبي داود برقم (٣٩٠٧) ، ومسند أحمد (٣ / ٤٧٧) .
(٦) الترمذي الطهارة (١٣٥) ، أبو داود الطب (٣٩٠٤) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٣٩) ، أحمد (٤٢٩/٢) ، الدارمي الطهارة (١١٣٦) .
(٧) سنن أبي داود (٣٩٠٤) ، ومسند أحمد (٢ / ٤٢٩) ، المستدرك (١ / ٥٠) قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

٥ - كتابة حروف أبا جاد: وذلك بأن يجعل لكل حرف منها قـدرا معلوما من العدد ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنـة والأمكنـة، ثم يحكم عليها بالسعود أو النحوس ونحو ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوم يكتبون أبا جاد، وينظـرون في النجوم: ((ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق))، رواه عبد الرزاق في المصنف [١] .

٦ - القراءة في **الكف والفنجان** ونحو ذلك مما يدعي به بعض هـؤلاء معرفة الحوادث المستقبلة من موت وحياة وفقر وغنى وصحة ومرض ونحـو ذلك.

٧ - تحضير الأرواح: ويزعم أربابه أنهم يستحضرون أرواح الموتـى ويسألونها عن أخبار الموتى من نعيم وعذاب وغير ذلك، وهو نـوع مـن الدجل والشعوذة الشيطانية، ويراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيـس على الجهال وأكل أموالهم بالباطل والتوصل إلى دعوى علم الغيب.

٨ - التطير: وهو التشاؤم بالسوانح والبوارح مـن الطـير والظبـاء وغيرها، وهذا باب من الشرك وهو من إلقاء الشيطان وتخويفه.

فعن عمران بن حصين مرفوعا: « ليس منا من تطير أو تطـير لـه، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقـول فقد كفر بما أنـزل على محمد ﷺ » ، رواه البزار [٢] .

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين، ويمنحهم الفقه في الدين، ويعيذهم من خداع المجرمين وتلبيس أولياء الشياطين.

---

(١) المصنف (١١ / ٢٦) .

(٢) مسند البزار (٩ / ٥٢) (٣٥٧٨) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١١٧) رجاله رجال الصحيح .

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: الإيمان بالأسماء والصفات وأثر ذلك على المسلم.

المبحث الأول: تعريفه وأدلته.

أولا: تعريفه.

ثانيا: المنهج الحق في إثباته.

ثالثا: أدلة هذا المنهج.

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات في ضوء الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: قواعد في باب الأسماء والصفات.

التمهيد

الإيمان بالأسماء والصفات

وأثر ذلك في سلوك المسلم

إن للإيمان بأسماء الله وصفاته آثارا عظيمة في نفس المسلم وتحقيقه لعبادة ربه. فمن آثارها تلك المعاني التي يجدها العبد في عبوديته القلبية التي تثمـر التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، وحفظ جوارحه، وخطرات قلبـه، وضبط هواجسه حتى لا يفكر إلا فيما يرضي الله تعالى، ويحـب لله وفي الله، به يسمع، وبه يبصر، ومع ذلك هو واسع الرجاء وحسن الظن بربه.

هذه المعاني وغيرها مما يتعلق بالإيمان بمعاني الأسماء والصفـات تثمـر العبودية الظاهرة والباطنة على تفاوت بين شخص وآخر وذلك فضـل الله يؤتيه من يشاء.

فلاسمه "الغفار" أثره العظيم في محبته وعدم اليأس من رحمتـه ولاسمـه " شديد العقاب " أثره الكبير في خشيته وعدم الجرأة على محارمه. وهكـذا لأسمائه الأخرى وصفاته آثارها بحسب دلالاتا المتنوعة في نفـس المسـلم واستقامته على شرع الله بل وتحقيق محبته في القلوب التي هي أساس سـعادة المسلم في الدنيا والآخرة، ومفتاح كل خير وأعظم عون للعبد على عبادتـه لربه على أكمل الوجوه إذ الأعمال الظاهرة تخف وتثقل على النفس بحسـب المحبة القلبية لله تعالى.

فإكمال العمل وتحسينه على ما أراد الله منوط بالمحبة القلبية لله. والمحبـة منوطة بمعرفة الله بأسمائه وصفاته. ولهذا كان أعظم الناس عبادة لله رسـل الله الذين هم أعظم الناس محبة له وأعرفهم به.

المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات وأدلته

أولا: تعريفه:

توحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ ونفي ما نفى الله عن نفسه، ونفاه عنـه رسـوله ﷺ مـن الأسمـاء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلالاتها واستشعار آثارهـا ومقتضياتها في الخلق.

ثانيًا: المنهج في إثباته:

يقوم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات على الإيمان الكامل والتصديق الجازم بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غـير تحريـف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والتحريف: هو التغيير وإمالة الشيء عن وجهه. وهو قسمان:

١ - تحريف لفظي. وذلك بالزيادة في الكلمة أو النقص أو تغيير حركة في الكلمة كتحريف كلمة استوى في قولـه تعـالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [1] (طه: ٥) إلى استولى. قال صاحب النونيـة:

نـون اليـهود ولام جهمي هما   في وحي رب العرش زائدتان

٢ - تحريف معنوي. وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله منـه كمن فسر " اليد " لله تعالى بالقوة أو النعمة. فإن هذا تفسير باطل لا يـدل عليه الشرع ولا اللغة.

والتعطيل: هو نفي صفات الله تعالى كمن زعم أن الله تعالى لا يتصـف بصفة.

---

(١) سورة طه آية : ٥ .

والفرق بين التحريف والتعطيل هو أن التحريف نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح أما التعطيل فهو نفـي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر.

والتكييف: تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها كفعـل بعـض المنحرفين في هذا الباب الذين يكيفون صفات الله فيقولون كيفية يده: كـذا وكذا، وكيفية استوائه على هيئة كذا وكذا. فإن هذا باطل إذ لا يعلم كيفية صفات الله إلا هو وحده وأما المخلوقون فإنهم يجهلون ذلك ويعجزون عـن إدراكه.

والتمثيل: هو التشبيه كمن يقول لله سمع كسمعنا ووجه كوجوهنا تعـالى الله عن ذلك.

وينتظم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات في ثلاثة أصول من حققـها سلم من الانحراف في هذا الباب. وهي:

الأصل الأول: تنـزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأصل الثاني: الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه وبما سماه ووصفه بـه رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته.

الأصل الثالث: قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله تعـالى لأن إدراك المخلوق لذلك مستحيل.

فمن حقق هذه الأصول الثلاثة فقد حقق الإيمان الواجب في باب الأسمـاء والصفات على ما قرره الأئمة المحققون في هذا الباب.

ثالثًا: أدلة هذا المنهج:

دلت الأدلة من كتاب الله تعالى على تقرير هذا المنهج.

فمن الأدلة على الأصل الأول: وهو تنـزيه الرب ﷻ عن مشابهة المخلوقين، قول الله تبارك وتعـالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1] (الشورى: ١١). ومقتضى الآية نفي المماثلة بين الخالق والمخـلوق من كل وجه مع إثبات السمع والبصر لله ﷻ وفي هذا إشـارة إلى أن ما يثبت لله من السـمع والبصر ليس كما يثبت للمخلوقين من هاتين الصفتين مع كثـرة من يتصف بهما من المخلوقين. وما يقال في السـمع والبصر يقال في غيرهما من الصفات. واقرأ قوله تعـالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [2] .

أورد ابن كثير في تفسير الآية مـا رواه البخـاري في التوحيـد (١٣ ٣٧٢) والإمام أحمد في المسند (٦ ٤٦) عن عائشة رضي الله عنـها قالت: " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع فأنزل الله عز وجـل ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ [3] .... إلى آخر الآية ". [4] .

ومن الأدلة أيضًا قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ ﴾ [5] (النحل: ٧٤). قال الطبري في تفسير الآية: " فلا تمثلوا لله الأمثال ولا تشبهوا له الأشباه فإنه لا مثل له ولا شبه " [6] .

وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [7] (مريم: ٦٥) قال ابن عبـاس رضي الله عنهما في تفسيرها: " هل تعلم للرب مثلًا أو شبيهًا ".

---

(١) سورة الشورى آية : ١١ .
(٢) سورة المجادلة آية : ١ .
(٣) سورة المجادلة آية : ١ .
(٤) ابن كثير (٨/ ٦٠) .
(٥) سورة النحل آية : ٧٤ .
(٦) الطبري (٧ / ٦٢١) .
(٧) سورة مريم آية : ٦٥ .

ومن الأدلة لهذا الأصل: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [1] (الإخلاص: ٤) قال الطبري: " ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء ".

ومن الأدلة على الأصل الثاني: وهو الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته، قول الله ﷻ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [2] (البقرة: ٢٥٥). وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [3] (الحديد: ٣). وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [4] (الحشر: ٢٢- ٢٤).

ومن السنة حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: « اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت

(١) سورة الإخلاص آية : ٤ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٣) سورة الحديد آية : ٣ .
(٤) سورة الحشر آية : ٢٢ - ٢٤ .

الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر﴾ [1] [2] . والنصوص في تقرير هذا الباب كثيرة تجل عـن الحصر.

وأما الأصل الثالث وهو قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله تبـارك وتعالى فقد دل عليه قول الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [3] (طه: ١١٠). قال بعض أهل العلم في معنى الآية: " لا إحاطة للعلم البشري برب السماوات والأرض فينفي جنس أنواع الإحاطـة عـن كيفيتها ".

ومن الأدلة لهذا الأصل أيضًا قول الله تعـالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ [4] (الأنعام: ١٠٣) قال بعض العلماء في معرض حديثه عن الآية: " وهذا يدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكـمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك وهو الإحاطة بالشيء قدر زائد علـى الرؤية فالرب يرى في الآخرة ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط بعلمه ". وينبغي للعاقل أن يعلم أن للعقل حدا يصل إليه ولا يتعداه كما أن للسمع والبصر حدا ينتهيان إليه، فمن تكلف ما لا يمكن أن يدرك بالعقل كالتفكر في كيفية صفات الله، فهو كالذي يتكلف أن يبصر ما وراء الجدار أو يسمع الأصوات في الأماكن البعيدة جدا عنه.

---

(١) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧١٣) ، الترمذي الدعوات (٣٤٨١) ، أبو داود الأدب (٥٠٥١) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٣١) ، أحمد (٢/٤٠٤) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٧١٣) .

(٣) سورة طه آية : ١١٠ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات في ضوء الكتاب والسنة

دل الكتاب والسنة على إثبات الأسماء والصفات للرب عـز وجـل في مواطن كثيرة من أوجه متعددة وفي سياقات متنوعة.

والأسماء والصفات الثابتة بالكتاب والسنة كثيرة جدا دونت فيها الكتـب والمصنفات وعد أهل العلم الكثير منها. ونذكر هنا طائفة منها على سـبيل التمثيل لا الحصر.

فمن أسماء الله تعالى:

الحي والقيوم:

وقد دل على هذين الاسمين الكتاب والسنة. فمن الكتاب قول الله تعـالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ [1] (البقرة: ٢٥٥). ومن السنة حديث أنس بـن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في حلقة ورجل قائم يصلي فلمـا ركـع وسجد وتشهد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إلـه إلا أنت بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ ﴿ لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ﴾ [2] [3].

الحميد:

وقد دل عليه قـول الله عـز وجـل: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [4] (البقرة: ٢٦٧). ومن السنة حديث كعب بن عُجْرَة في التشـهد أن النبي ﷺ علمهم أن

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٢) الترمذي الدعوات (٣٤٧٥) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٥٧) .

(٣) رواه الحاكم برقم (١٨٥٦) وقال : صحيح على شرط مسلم ووفقه الذهبي .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٧ .

يقولوا: ﴿ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت علـى إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ﴾ [1] ...) [2] .

الرحمن والرحيم:

وقد دل عليهما قـول الله تعـالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ [3] (الفاتحة: ٢، ٣).

ومن السنة أمر النبي ﷺ كاتبه يوم الحديبية عند كتابة الصلح بينه وبـين المشركين أن يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) [4] .

الحليم:

ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝ ﴾ [5] (فاطر: ٤١).

ومـن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عنـد الكرب: ﴿ لا إله إلا الله العظيم الحليم ﴾ [6] ..) الحديث. [7] .

---

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٩٠) ، مسلم الصلاة (٤٠٦) ، الترمذي الصلاة (٤٨٣) ، النسائي السهو (١٢٨٨) ، أبو داود الصلاة (٩٧٦) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٠٤) ، أحمد (٢٤٤/٤) ، الدارمي الصلاة (١٣٤٢) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٧٠) ، ومسلم برقم (٤٠٦) .

(٣) سورة الفاتحة آية : ٢ ، ٣ .

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٧٣١) .

(٥) سورة فاطر آية : ٤١ .

(٦) البخاري الدعوات (٥٩٨٥) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٣٠) ، الترمذي الدعوات (٣٤٣٥) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٨٣) ، أحمد (٢٨٠/١) .

(٧) رواه البخاري برقم (٦٣٤٥) ، ومسلم برقم (٢٧٣٠) .

ومن صفات الله:

القدرة:

وهي صفة ذاتية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة. ومعنى ذاتية: أي ملازمـة لذات الله لا تنفك عنه سبحانه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [1] (البقرة: ٢٠).

ومن السنة حديث عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى النبي ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ «ضع يـدك علـى الذي تألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثًا وقل، سبع مرات: أعوذ بعـزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» [2] [3].

الحياة:

وهي من صفات الله الذاتية. وهي مشتقة من اسمه الحي وقد تقدم ذكـر الأدلة عليها.

العلم:

صفة ذاتية لله تعالى وثبوتا بالكتاب والسنة. قال تعـالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ [4] (البقرة: ٢٥٥). ومن السنة حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا في الاستخارة: «اللهم إني أستخيرك بعلمـك وأستقدرك بقدرتك» [5] (...) [6].

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٠ .

(٢) مسلم السلام (٢٢٠٢) ، الترمذي الطب (٢٠٨٠) ، أبو داود الطب (٣٨٩١) ، ابن ماجه الطب (٣٥٢٢) ، أحمد (٤/٢١٧) ، مالك الجامع (١٧٥٤) .

(٣) رواه مسلم برقم (٢٢٠٢) .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٥) البخاري الجمعة (١١١٣) ، الترمذي الصلاة (٤٨٠) ، النسائي النكاح (٣٢٥٣) ، أبو داود الصلاة (١٥٣٨) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٨٣) ، أحمد (٣/٣٤٤) .

(٦) رواه البخاري برقم (٦٣٨٢) .

الإرادة:

وهي صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة. والصفات الفعلية هـي المتعلقـة بمشيئة الله وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها. قال تعـالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ ([1]) (الأنعام: ١٢٥). ومن السـنة حديـث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: ﴿ إذا أراد الله بقوم عذابًا، أصاب العذاب من كـان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم ﴾ [2] [3] .

العلو:

وهو صفة ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعـالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ ([4]) (الأعلى: ١). وقال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [5] (النحـل: ٥٠). ومن السنة حديث أبي هريرة المتقدم في المبحث الأول في الذكر عند النـوم وفيه: (... ﴿ اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليـس بعـدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونـك شـيء ﴾ [6] ...) [7] .

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .
(٢) البخاري الفتن (٦٦٩١) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٩) ، أحمد (٤٠/٢) .
(٣) رواه مسلم برقم (٩٢٨٧) .
(٤) سورة الأعلى آية : ١ .
(٥) سورة النحل آية : ٥٠ .
(٦) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧١٣) ، الترمذي الدعوات (٣٤٨١) ، أبو داود الأدب (٥٠٥١) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٣١) ، أحمد (٥٣٦/٢) .
(٧) رواه مسلم برقم (٢٧١٣) .

الاستواء:

وهو صفة فعلية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [1] (طه: ٥). وعن قتادة بن النعمان ﷺ قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: « لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه » [2]. ومعنى الاسـتواء في لغة العرب: العلو والارتفاع، والاستقرار والصعود واستواء الله تعالى علـى عرشه استواء يليق بجلاله.

الكلام:

وهو صفة ذاتية باعتبار النوع وصفة فعلية باعتبار أفراد الكلام فهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء بكلام مسموع، وقد دل على صفـة الكـلام الأدلة من الكتاب والسـنة. قـال تعـالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [3] (النساء: ١٦٤)، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [4] (الأعراف: ١٤٣).

ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « احتـج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال لـه آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده » [5] ...) الحديث. [6].

---

(١) سورة طه آية : ٥ .

(٢) رواه الذهبي في العلو برقم (١١٩) وقال : رواته ثقات ، رواه الخلال في كتاب السنة .

(٣) سورة النساء آية : ١٦٤ .

(٤) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

(٥) البخاري تفسير القرآن (٤٤٦١) ، مسلم القدر (٢٦٥٢) ، الترمذي القدر (٢١٣٤) ، أبو داود السنة (٤٧٠١) ، ابن ماجه المقدمة (٨٠) ، أحمد (٣١٤/٢) ، مالك الجامع (١٦٦٠) .

(٦) رواه البخاري برقم (٦٦١٤) ، ومسلم برقم (٢٦٥٢) .

الوجه:

وهو صفة ذاتية خبرية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة. قـال تعـالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [1] (البقرة: ٢٧٢). وقوله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [2] (الرحمن: ٢٧)، ومن السنة حديث جابر بن عبد الله قال: (لما نـزلت: هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [3] قال النبي ﷺ ﴿ أعوذ بوجهك ﴾ [4]. فقـال: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [5] فقال النبي ﷺ ﴿ أعوذ بوجهك ﴾ [6]. قال ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ [7] (الأنعام: ٦٥). فقال النبي ﷺ ﴿ هذا أيسر ﴾ [8] [9].

اليدان:

وهي صفة ذاتية خبرية لله ﷻ وثبوتا بالكتاب والسنة. قال تعـالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ [10] (المائدة: ٦٤). وقوله تعـالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ ﴾ [11] (ص: ٧٥). ومن السنة حديـث أبي موسى

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٧٢ .
(٢) سورة الرحمن آية : ٢٧ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٦٥ .
(٤) البخاري تفسير القرآن (٤٣٥٢) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٦٥) ، أحمد (٣٠٩/٣) .
(٥) سورة الأنعام آية : ٦٥ .
(٦) البخاري تفسير القرآن (٤٣٥٢) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٦٥) ، أحمد (٣٠٩/٣) .
(٧) سورة الأنعام آية : ٦٥ .
(٨) البخاري تفسير القرآن (٤٣٥٢) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٦٥) ، أحمد (٣٠٩/٣) .
(٩) رواه البخاري برقم (٧٤٠٦) .
(١٠) سورة المائدة آية : ٦٤ .
(١١) سورة ص آية : ٧٥ .

الأشعري الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ قال: ﴿ إن الله يبسط يـده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليـل حتى تطلع الشمس من مغربا ﴾ [1] [2] .

العينان:

وهي صفة ذاتية خبرية ثابتة لله ﷻ بالكـتاب والسنة. فمن الكتـاب قول الله تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [3] (طه: ٣٩). وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [4] (هود: ٣٧). ومن السنة حديث عبد الله بن عمـر رضـي الله عنهما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إن الله لا يَخْفى عليكـم إن اللّه ليس بأعور وأشار بيده إلى عينيه، وإن المسيح الدجال أعور العـين اليمنى كأنّ عينه عنبة طافية ﴾ [5] [6] .

القدم:

وهي صفة ذاتية ثابتة للرب ﷻ بالأحاديث الصحيحة. ومن ذاـك حديث أبي هريرة في تحاجج الجنة والنار وفيه: (... ﴿ فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى

---

(١) مسلم التوبة (٢٧٥٩) ، أحمد (٣٩٥/٤) .
(٢) رواه مسلم برقم (٢٧٥٩) .
(٣) سورة طه آية : ٣٩ .
(٤) سورة هود آية : ٣٧ .
(٥) البخاري التوحيد (٦٩٧٢) ، مسلم الإيمان (١٦٩) ، أحمد (١٢٧/٢) .
(٦) رواه البخاري برقم (٧٤٠٧) ، ومسلم برقم (٢٩٣٣) .

رجله، تقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ﴾ [1] ...) [2] . وفي بعض الروايات في الصحيحين ﴿ فيضع قدمه عليـها ﴾ [3] ...) [4] .

وأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة كثيرة لا تحصى وإنما هـذه أمثلة ويجب على المسلم إثباتا لله تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وكمالـه، كما أثبتها الله لنفسه في كتابه، وهو أعلم بنفسه من خلقه، وأثبتها له رسوله ﷺ في سنته وهو أعلم الخلـق بربـه وأكملـهم نصحًـا وأفصحهم وأبلغهم بيانًا وأتقاهم وأخشاهم له، وليحذر من تعطيل الله مـن صفاته أو تشبيهها بصفات المخلوقـين لأن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [5] (الشورى: ١١).

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٥٦٩) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٧) ، الترمذي صفة الجنة (٢٥٥٧) ، أحمد (٥٠٧/٢) .

(٢) رواه البخاري برقم (٤٨٥٠) ومسلم برقم (٢٨٤٦) .

(٣) البخاري تفسير القرآن (٤٥٦٩) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٦) ، الترمذي صفة الجنة (٢٥٥٧) ، أحمد (٥٠٧/٢) .

(٤) رواه البخاري برقم (٤٨٤٨ ، ٤٨٤٩) ومسلم برقم (٢٨٤٨) .

(٥) سورة الشورى آية : ١١ .

المبحث الثالث: قواعد في باب الأسماء والصفات

القاعدة الأولى: القول في الصفات كالقول في الذات

وبيانا: أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته، ولا أفعالـه. فإذا كان لله ذات حقيقية لا تماثل الذوات بلا خلاف فكذلـك الصفـات الثابتة له في الكتاب والسنة، هي صفات حقيقية لا تماثل سـائر الصفـات فالقول في الذات والصفات من باب واحد.

وهذه قاعدة عظيمة يناقش بها من ينكر الصفات مع إثباته الذات فـإن إثبات الذات للرب ﷻ محل إجماع الأمة.

فإذا قال قائل: لا أثبت الصفات لأن في إثباتا تشبيهًا لله بخلقه.

يقال له: أنت تثبت لله ذاتًا حقيقية وتثبت للمخلوقين ذواتًا أفليس هـذا تشبيهًا على قولك !! فإن قال: إنما أثبت ذاتًا لله لا تشبه الذوات ولا يسـعه غير هذا. قيل له يلزمك هذا في باب الصفات فإن كـانـت الذات لا تشـبه الذوات وهو حق فكذلك صفات الذات الإلهية لا تشبه الصفات. فإن قال: كيف أثبت صفة لا أعلم كيفيتها. قلنا: له كما تثبت ذاتًا لا تعلم كيفيتها.

القاعدة الثانية القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر

القاعدة الثانية: القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.

وشرحها: أن القول في بعض صفات الله من حيث الإثبـات والنفي كالقول في البعض الآخر وهذه القاعدة يخاطب بها من يثبت بعض الصفـات وينكر البعض الآخر. فإذا كان الرجل يثبت بعض الصفات كالحياة والعلـم والقدرة والسمع والبصر وغيرها ويجعل ذلك كله حقيقة ثم ينازع في صفـة المحبة والرضا والغضب وغيرها، ويجعل ذلك مجازًا فيقال له: لا فرق بين مـا أثبته وبين ما نفيته فالقول في أحدهما كالقول في الآخر. فإن كنت تثبت له حياة وعلمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا لا تشبه ما يثبت للمخلوقين الذين

يتصفـون بذه الصفات فكذلك يلزمك أن تثبت له محبة ورضًا وغضبًا كـما أخبر هـو عن نفسه من غير مشابة للمخلوقين وإلا وقعت في التناقض.

القاعدة الثالثة: الأسماء والصفات توقيفية

أسماء الله وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها وعلى هذا فيجـب الوقـوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص لأن العقـل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات فوجب الوقوف على النص. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (1) (الإسراء: ٣٦). وقد كان أئمة الإسلام على هذا المنهج. قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يوصف الله إلا بما وصف بـه نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث). وقرر بعـض أهـل العلم أن العلم بالشيء حتى يُمكن وصفه له ثلاثة طرق: إما رؤيَته، أو رؤيـة مثيله، أو وصفه ممن يعرفه. وعِلْمنا بِربنا وأسمائه وصفاته محصور في الطريـق الثـالث وهـو وصفه ممن يعرفه وليس أحد أعلم بالله مـن الله ثم رسـله الذين أوحى إليهم وعلمهم فوجب لزوم طريق الوحي في أسماء الله وصفاتـه إذ لم نر ربنا في الدنيا فنصفه وليس له مثيل من خلقه فيوصف بوصفه، تعالى ربنا وتقدس.

القاعدة الرابعة: أسماء الله كلها حسنى

أسـماء الله كلهـا حسنى أي بالغة في الحسن غايته. قـال تعـالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (2) (الأعراف: ١٨٠) وذلك لدلالتها على أحسن مسـمى وأشرف مدلول وهو الله ﷻ ولأنا متضمنة لصفات كـاملة لا نقـص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالا ولا تقديرًا.

---

(١) سورة الإسراء آية : ٣٦ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

مثال ذلك: (الحي) اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات مـن العلـم والقدرة والسمع والبصر وغيرها. ومثال آخر: (العليم) اسم من أسمـاء الله تعالى متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسـيان. قـال تعالى ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [1] (طه: ٥٢) العلـم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا سواء ما يتعلق بأفعالـه أو أفعـال خلقه. كما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [2] (غافر: ١٩).

والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراد، ويكـون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى آخر كـمال فوق كمال.

مثال ذلك: (العزيز الحكيم) فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثـيرًا فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه وهـو العـزة في العزيز والحكـم والحكـمة في الحكيـم. والجمـع بينهما دال على كمال آخـر وهو أن العزة لله تعالى مقرونة بالحكـمة فعزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا كمـا يكون من بعض أعزاء المخلوقين فإن بعضهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلـم ويجور، وكذلك حكمه تعالى وحكـمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكـم المخلوق وحكمته فإنما يعتريهما الذل. هذا والله أعلم.

وفي ختام هذا الباب نشير إلى جملة من الفوائد والثمرات الـتي يجنيـها المسلم بتحقيقه لهذا الأصل العظيم وهو الإيمان بالله وحـده لا شريك لـه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. فمن ذلك:

(١) سورة طه آية : ٥٢ .
(٢) سورة غافر آية : ١٩ .

١ - أن العبد ينال بذلك سعادة الدنيا والآخرة، بل إن السعادة في الدارين متوقف الحصول عليها على الإيمان بالله، فحظ العبد منها بحسب حظه من إيمانه بربه وأسمائه وصفاته وألوهيته.

٢ - أن إيمان العبد بربه وأسمائه وصفاته هو أعظم أسباب خوفه سـبحانه وخشيته وتحقيق طاعته، فكلما كان العبد بربه أعرف كان إليه أقرب، ومنه أخشى، ولعبادته أطلب، وعن معصته ومخالفته أبعد.

٣ - أن العبد ينال بذلك طمأنينة قلبه، وراحة نفسه، وأنـس خـاطره، والأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة والله تعالى يقول ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[1] (الرعد: ٢٨).

٤ - أن نيل ثواب الآخرة متوقف على الإيمان بالله وصحته، فبتحقيقـه وتحقيق لوازمه ينال العبد ثواب الآخرة فيدخل جنـة عرضها السـماء والأرض فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وينجو من النار وعذابا الشديد، وأعظم من ذلك كلـه أن يفـوز برضى الرب سبحانه فلا يسخط عليه أبدًا، ويتلذذ يوم القيامة بالنظر إلى وجهه الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

٥ - أن الإيمان بالله هو الذي يصحح الأعمال ويجعلها مقبولة، فبفقده لا تقبل بل ترد على صاحبها وإن كثرت وتنوعت، قال تعـالى ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥ ﴾[2] (المائدة: ٥). وقـال تعـالى ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾[3] (الإسراء: ١٩).

---

(١) سورة الرعد آية : ٢٨ .

(٢) سورة المائدة آية : ٥ .

(٣) سورة الإسراء آية : ١٩ .

٦ - أن الإيمان الصحيح بالله يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه علمًا وعملًا، ويكسب العبد الاستعداد التام لتلقي المواعظ النافعة والعبر المؤثرة، ويوجب سلامة الفطرة، وحسن القصد، والمبادرة إلى الخيرات، ومجانبة المحرمات والمنكرات، ولزوم الأخلاق الحميدة، والخصال الكريمة، والآداب النافعة.

٧ - أن الإيمان بالله ملجأ المؤمنين في كل ما يلم لهم من شرور وحزن وأمن وخوف وطاعة ومعصية وغير ذلك من الأمور التي لا بد لكل أحد منها، فعند المحاب والسرور يلجؤون إلى الإيمان بالله فيحمدون الله ويثنون عليه ويستعملون نعمته فيما يحب، وعند المكاره والأحزان يلجؤون إلى الإيمان بالله فيتسلون بإيمانهم وما يترتب عليه من الأجر والثواب، وعند المخاوف والأحزان يلجؤون إلى الإيمان بالله فتطمئن قلوبهم ويزداد إيمانهم وتعظم ثقتهم بربهم، وعند الطاعات والتوفيق للأعمال الصالحات يلجؤون إلى الإيمان بالله فيعترفون بنعمته عليهم، ويحرصون على تكميلها، ويسألونه الثبات عليها والتوفيق لقبولها، وعند الوقوع في شيء من المعاصي يلجؤون إلى الإيمان بالله فيبادرون إلى التوبة منها والتخلص من شرورها وأوضارها، فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم ملجؤهم إلى الإيمان بالله وحده.

٨- أن معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته توجب محبة الله في القلوب إذ أن أسماء الله وصفاته كاملة من كل وجه والنفوس قد جبلت على حب الكمال والفضل فإذا تحققت محبة الله في القلوب انقادت الجوارح بالأعمال وتحققت الحكمة التي خلق العبد من أجلها وهي عبادة الله.

٩- أن العلم بالأسماء والصفات يورث قوة اليقين بانفراد الله تعالى بتصريف شؤون الخلق وانفراده بذلك لا شريك له وهذا مما يحقق صدق التوكل على الله في جلب المصالح الدينية والدنيوية وفي ذلك فلاح العبد ونجاحه فمن توكل على الله فهو حسبه.

١٠- إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلـوم، فـإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقا له تعالى أو أمرا، وهي إمـا علـم بمـا كونه، وإما علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى وهمـا مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه. فمن أحصى أسماء الله كمـا ينبغـي للمخلوق أحصى جميع العلوم.

الباب الثاني: بقية أركان الإيمان

الفصل الأول: الإيمان بالملائكة

وفيه خمسة فصول:

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقتهم وصفاتم وبعض خصائصهم.

المبحث الثاني: م لة الإيمان بم وكيفيته وأدلة ذلك.

المبحث الثالث: وظائفهم.

المبحث الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقهم، وصفاتم، وخصائصهم

تعريفهم:

الملائكة: جمع مَلَك. أخذ من (الأَلُوكِ) وهي: الرسالة.

وهم: خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفـة قـادرة علـى التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبـيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهـم إلا الله، قـد اختـارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلـون مـا يؤمرون.

أصل خلقهم:

والمادة التي خلق الله منها الملائكة هي " النور ". فعن عائشـة رضـي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ ﴿ خلقت الملائكة من نور. وخلق الجان مـن مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكـم ﴾ [1] [2] والمارج هو: اللهب المختلـط بسواد النار.

صفاتم:

قد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفـات الملائكـة وحقائقها فمن ذلك:

أنم موصوفون بالقوة والشدة. كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ [3] (التحريم: ٦). وقال

(١) مسلم الزهد والرقائق (٢٩٩٦) ، أحمد (١٥٣/٦) .
(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٩٦) .
(٣) سورة التحريم آية : ٦ .

تعالى في وصف جـبريل عليه السلام: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [1] (النجم: ٥).

وقال في وصفه أيضا: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ ﴾ [2] (التكوير: ٢٠).

وهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق. ففي صحيح مسلم من حديـث عائشة رضي الله عنها وقد سألت النبي ﷺ عن معنى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ ﴾ [3] (التكوير: ٢٣) فقال: « إنما هو جبريل لم أره على صورتـه الـتي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض » [4] ([5] .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « رأى رسـول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق يسـقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم » [6] [7] قال الحافـظ ابـن كـثير: إسناده جيد.

وروى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ قال: « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العـرش إن ما بين شحمة

---

(١) سورة النجم آية : ٥ .
(٢) سورة التكوير آية : ٢٠ .
(٣) سورة التكوير آية : ٢٣ .
(٤) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٢) ، مسلم الإيمان (١٧٧) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٦٨) ، أحمد (٥٠/٦) .
(٥) صحيح مسلم برقم (١٧٧) .
(٦) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٠) ، مسلم الإيمان (١٧٤) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٢٨٣) ، أحمد (٣٩٥/١) .
(٧) مسند الإمام أحمد : (١/ ٣٩٥) ، (٦/ ٢٩٤) .

أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام﴾ [1] [2] قال الهيثمي في المـع: رجاله رجال الصحيح.

ومن صفاتم أنم يتفاوتون في الخلق والمقدار فهم ليسوا علـى درجـة واحدة، فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من لـه أربعـة، ومنهم من له ستمائة جناح. قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ ﴾ [3] (فاطر: ١).

ومن صفاتم الحسن والجمال فهم على درجة عالية من ذلك. قال تعـالى في حق جبريل عليه السلام ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [4] (النجم: ٥، ٦) قال ابن عباس رضي الله عنهما (ذو مرة: ذو منظر حسن) وقـال قتادة: (ذو خلق طويل حسن).

وقال تعالى مخبرا عن النسوة عند رؤيتهن ليوسف عليه السـلام: ﴿ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ۝ ﴾ [5] (يوسف: ٣١) وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند النـاس مـن وصـف الملائكة بالجمال الباهر.

ومن صفاتم التي وصفهم الله با أنم كرام أبرار. قال تعـالى ﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝ ﴾ [6] (عبس: ١٥، ١٦). وقال ﷻ ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝ ﴾ [1] (الانفطار: ١٠، ١١).

---

(١) أبو داود السنة (٤٧٢٧) .
(٢) سنن أبي داود : (٥/ ٩٦) ، برقم (٤٧٢٧) .
(٣) سورة فاطر آية : ١ .
(٤) سورة النجم آية : ٥ ، ٦ .
(٥) سورة يوسف آية : ٣١ .
(٦) سورة عبس آية : ١٥ ، ١٦ .

ومن صفاتهم الحياء لقول النبي ﷺ في حق عثمان رضي الله عنه ﴿ألا أستحي مـن رجل تستحي منه الملائكة﴾ [٢] [٣] .

ومن صفاتهم أيضا العلم. قال تعالى في خطابه للملائكـة: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٤] (البقرة: ٣٠) فأثبت الله ﷻ للملائكة علمًا وأثبت لنفسـه علمًا لا يعلمونه. وقال تعالى في حق جبريل عليه السـلام ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [٥] (النجم: ٥) قال الطبري: (علم محمدًا ﷺ هذا القرآن جـبريل عليـه السلام) أ. هـ ، وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم.

إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة من صفاتهم العظيمة وأخلاقـهم الكريمة الدالة على علو شأنهم وسمو منازلهم عليهم السلام.

خصائصهم:

للملائكة عليهم السلام خصائص وصفات قد اختصهم الله تعـالى بـها، وامتازوا بها عن الجن والإنس وسائر المخلوقات. فمنها:

أن مساكنهم في السماء وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذًا لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شؤونهم. قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ ﴾ [٦] (النحل: ٢) وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ

---

(١) سورة الانفطار آية : ١٠ ، ١١ .
(٢) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠١) ، أحمد (١٥٥/٦) .
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٤٠١) .
(٤) سورة البقرة آية : ٣٠ .
(٥) سورة النجم آية : ٥ .
(٦) سورة النحل آية : ٢ .

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [1] (الزمر: ٧٥). وعن أبي هريـرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿يتعاقبون فيكم ملائكة بـالليل، وملائكـة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكـم فيسألهم الله وهو أعلم بم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون: تركناهم وهـم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون﴾ [2] [3] . والنصوص في هذا كثيرة جدا يصعـب حصرها هنا.

ومن خصائصهم أنم لا يوصفون بالأنوثة، قال تعالى منكرا على الكفـار ذلك: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [4] (الزخرف: ١٩). وقال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ [5] (النجم: ٢٧).

ومن خصائصهم أنم لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنـوب، بل طبعهم الله على طاعته، والقيام بأمره: كما قال تعالى في وصفـهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [6] (التحريم: ٦). وقـال أيضـا ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [7] (الأنبياء: ٢٧).

---

(١) سورة الزمر آية : ٧٥ .

(٢) البخاري مواقيت الصلاة (٥٣٠) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٢) ، النسائي الصلاة (٤٨٥) ، أحمد (٤٨٦/٢) ، مالك النداء للصلاة (٤١٣) .

(١) صحيح البخاري برقم (555) وصحيح مسلم برقم (٦٣٢) .

(٤) سورة الزخرف آية : ١٩ .

(٥) سورة النجم آية : ٢٧ .

(٦) سورة التحريم آية : ٦ .

(٧) سورة الأنبياء آية : ٢٧ .

ومن خصائصهم أيضا أنم لا يفترون عن العبادة ولا يسأمون. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] (الأنبياء: ١٩، ٢٠). وقال في آية أخـرى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾[2] (فصلت: ٣٨).

فهذه بعض خصائص الملائكة التي اختصهم الله بها دون الثقلين من الإنس والجن. وبالجملة فالملائكة جنس آخر، يتميزون في أصل خلقتهم وتكـوينـهم عن الإنس والجن. كـما أن لكل من الإنس والجن خصائصهما التي يتميز بها أحد الجنسين عن الآخر والله أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ١٩ ، ٢٠ .

(٢) سورة فصلت آية : ٣٨ .

المبحث الثاني

منزلة الإيمان بالملائكة وكيفيته وأدلة ذلك

منـزلة الإيمان بهم:

الإيمان بالملائكة ركن من أركـان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقـق الإيمان إلا به. وقد نص الله على ذلك في كتابه. وأخبر عنـه النبي ﷺ في سنته.

قال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [1] (البقرة: ٢٨٥) فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقيـة أركـان الإيمان مما أنـزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلـوا ذلك.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [2] (البقرة: ١٧٧).

فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البر- والبر اسـم جامع للخير- وذلك أن هذه الأشياء المذكورة هـي أصـول الأعمـال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه.

كـما أخبر الله ﷻ في مقابل هذا أن من كفر بهذه الأركان فقد كفـر بالله: فقال: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [3] (النسـاء: ١٣٦) فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركـان، ووصفه بالبعد في الضلال. فدل ذلك أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم مـن أركان الإيمان وأن تركه مخرج من الملة.

وقد دلت السنة كذلك على هذا. وهو ما جاء موضحًا في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطـاب ؓ قال: ﴿ بينما

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(٣) سورة النساء آية : ١٣٦ .

نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شـديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منـا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه علـى فخذيه، وقال: يا محمد ! أخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة، وتـؤتي الزكـاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقـت. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان ؟ قال: أن تؤمـن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشـره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تـراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة ؟ قال ما المسؤول عنـها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها ؟ قال: أن تلد الأمة ربتـها. وأن ترى الْحُفاة العُراة، العَالة، رِعاءَ الشاء، يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلـق فلبثت مليا ثم قال لي: يا عمر ! أتدري من السائل ؟ قلتَ: الله ورسوله أعلـم. قال: فإنه جبريل، أتاكـم يعلمكم دينكـم ﴾ [1]) [2].

فهذا حديث عظيم اشتمل على أصول الدين ومراتبه كلها وهو منـهج فريد في تعليم هذا الدين جاء على طريقة الحوار بين الرسول الملكي، أفضـل الملائكة وهو جبريل عليه السلام وبين الرسول الإنسي أفضل البشر، وهـو محمد ﷺ فينبغي للمسلمين أن يعنوا بذا الحديث العظيم وأن يستمدوا منهجهم في التعلم والتعليم منه كما كـان على ذلك السـلف رضـوان الله عليهم. وقد تضمن الحديث ذكر الملائكة وأن الإيمان بم ركن من أركـان الإيمان وهو المقصود هنا.. والله أعلم.

---

(١) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٢٧/١) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٨) .

كيفية الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يتضمن عدة أمور لا بد للعبد من تحقيقها حتى يتحقق لـه الإيمان بالملائكة وهي:

١ - الإقرار بوجودهم والتصديق بم كما دلت على ذلـك النصـوص المتقدمة من أن الإيمان بم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقـق الإيمـان إلا بذلك.

٢ - الإيمان بأنم خلق كثير جدا لا يعلم عددهم إلا الله تعالى كـما دلـت على ذلك النصوص. قال تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [(١)] (المدثر: ٣١).

أي لا يعلم جنود ربك وهم الملائكة إلا هو وذلك لكثرتم. قـال بذلـك بعض السلف.

وجاء في حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث مالك بن صعصعة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (... ﴿ ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل ! ما هذا ؟ قال: هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم سـبعون ألـف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم ﴾ [(٢)] [(٣)] .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ ﴿ يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألـف ملـك يجرونا ﴾ [(٤)] [(٥)] . فدل الحديثان على كثرة الملائكة، فإذا كـان البيت المعمور يدخلـه كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه وإنما يأتي غيرهم، وجهنم يأتي با يوم القيامة هذا العدد من

(١) سورة المدثر آية : ٣١ .
(٢) البخاري المناقب (٣٦٧٤) ، مسلم الإيمان (١٦٤) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (٢٠٨/٤) .
(٣) صحيح البخاري برقم (٣٢٠٧) ، ومسلم برقم (١٦٤) ، واللفظ لمسلم .
(٤) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٢) ، الترمذي صفة جهنم (٢٥٧٣) .
(٥) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٢) .

الملائكة، فكيف بغيرهم من الملائكة الموكلين بأعمال أخرى ممن لا يعلم عددهم إلا خالقهم تبارك وتعالى.

٣ - الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمهم عليه وشرفهم عنده كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [(١)] (الأنبياء: ٢٦، ٢٧). وقال جل وعلا: ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [(٢)] (عبس: ١٥، ١٦). فوصفهم بأنهم مكرمون منه سبحانه. وقال تعالى في حقهم: ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ [(٣)] (فصلت: ٣٨). فوصفهم بأنهم عنده وهذا تشريف لهم، مع مقام التعبد له بلا سآمة. كما أنه تعالى أقسم بهم في غير موطن من كتابه وهذا لشرفهم عنده. فقال: ﴿ وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [(٤)] (الصافات: ١-٣). وقال عز وجل: ﴿ فَٱلْفَـٰرِقَـٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَـٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [(٥)] (المرسلات: ٤، ٥). وشواهد صور إكرام الملائكة وتنوع أساليبها وتعدد سياقاتها من كتاب الله كثيرة لا تخفى على متدبر مما يحتم تقرير هذا في الشرع والله أعلم.

٤ - اعتقاد تفاضلهم وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله على ما دلت على ذلك النصوص: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [(٦)] (الحج: ٧٥). وقال ﷻ: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) سورة عبس آية : ١٥ ، ١٦ .
(٣) سورة فصلت آية : ٣٨ .
(٤) سورة الصافات آية : ١ - ٣ .
(٥) سورة المرسلات آية : ٤ ، ٥ .
(٦) سورة الحج آية : ٧٥ .

﴿لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [1] (النساء: ١٧٢) فأخبر أن منهم مصطفين بالرسالة ومقربين، فدل على فضلهم على غيرهم. وأفضل الملائكة: المقربون مع حملة العرش. وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي ﷺ الذي كان يفتتح به صلاة الليل فيقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة» [2] ..) [3] .

وأفضل الثلاثة جبريل عليه السلام وهو الموكل بالوحي، فشرفه بشرف وظيفته. وقد ذكره الله في كتابه بما لم يذكر غيره من الملائكة، وسماه بأشرف الأسماء، ووصفه بأحسن الصفات. فمن أسمائه الروح: قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [4] (الشعراء: ١٩٣). وقال عز وجل: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [5] (القدر: ٤). وقد ورد هذا الاسم مضافًا إلى الله تعالى إضافة تشريف. قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [6] (مريم: ١٧). وورد مضافًا إلى القدس، قال تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [7] (النحل: ١٠٢) والقدس هو الله على الصحيح من أقوال المفسرين. ومما جاء في وصفه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ

(١) سورة النساء آية : ١٧٢ .
(٢) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٠) ، الترمذي الدعوات (٣٤٢٠) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٢٥) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٧) ، أحمد (١٥٦/٦) .
(٣) رواه الإمام أحمد في المسند : ٦ / ١٥٦ ، والنسائي في السنن : ٣ / ١٧٣ ، برقم (١٦٢٥) ، ونحوه مسلم في الصحيح ، برقم (٧٧٠) ، وابن ماجه ، برقم (١٣٥٧) .
(٤) سورة الشعراء آية : ١٩٣ .
(٥) سورة القدر آية : ٤ .
(٦) سورة مريم آية : ١٧ .
(٧) سورة النحل آية : ١٠٢ .

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ [1] (التكوير: ١٩- ٢١).

وقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [2] (النجم: ٥، ٦) فوصفه الله تعالى بأنه رسول وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاع في السماوات، وأنه أمين على الوحي وأنه ذو مرة (أي مظهر حسن).

٥ - موالاتهم والحذر من عداوتهم لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [3] (التوبة: ٧١) فدخل الملائكة في هذه الآية؛ لأنهم مؤمنون قائمون بطاعة ربهم كما أخبر الله عنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [4] (التحريم: ٦). وأخبر جل وعلا عن موالاة الملائكة لرسوله وللمؤمنين فقال ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [5] (التحريم: ٤) وقال ﷻ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [6] (الأحزاب: ٤٣). وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [7] (فصلت: ٣٠). فوجبت موالاة الملائكة على المؤمنين لموالاتهم لهم ونصرهم وتأييدهم واستغفارهم لهم. وقد حذر الله تعالى من عداوة الملائكة فقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾ [8]

---

(١) سورة التكوير آية : ١٩ - ٢١ .
(٢) سورة النجم آية : ٥ ، ٦ .
(٣) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٤) سورة التحريم آية : ٦ .
(٥) سورة التحريم آية : ٤ .
(٦) سورة الأحزاب آية : ٤٣ .
(٧) سورة فصلت آية : ٣٠ .
(٨) سورة البقرة آية : ٩٨ .

) (البقرة: ٩٨). فأخبر أن عداوة الملائكة موجبة لعداوة الله وسخطه، وذلك لأنهم إنما يصدرون عن أمره وحكمه، فمن عاداهم فقد عادى ربه.

٦ - الاعتقاد بأن الملائكة خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك. كما أنه لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لهم، بل يجب إخلاص العبادة لخالقهم وخالق الخلق أجمعين، الذي لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ولا مثيل له في أسمائه وصفاته. وقد بين الله تعالى ذلك فقال عز من قائل: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [(١)] (آل عمران: ٨٠). وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [(٢)] (الأنبياء: ٢٦-٢٩).

فأخبر سبحانه أنه لم يأمر بعبادتهم وكيف يأمر بعبادتهم وهي كفر بالله العظيم ثم أبطل تعالى دعوى من زعم أن الملائكة بنات الله ونزه نفسه عن ذلك، وبين أنهم عباد مكرمون بكرامته لهم عاملون بأمره مشفقون من خشيته وأنهم لا يملكون الشفاعة لأحد إلا من رضي الله عنه من أهل التوحيد. ثم ختم السياق ببيان جزاء من ادعى الألوهية منهم وأن جزاءه جهنم، فظهر من ذلك أنهم عباد مربوبون لا حول لهم ولا قوة إلا بربهم وخالقهم.

٧ - الإيمان المفصل بمن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة على وجه الخصوص في الكتاب والسنة: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وهاروت وماروت،

---

(١) سورة آل عمران آية : ٨٠ .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٦ - ٢٩ .

ورضوان، ومنكر ونكير، وغيرهم ممن جاءت النصـوص بتسميتهم. وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: كرقيـب وعتيد، أو بذكر وظيفته: كملك الموت وملك الجبـال، أو مـن جـاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة: كحملة العرش، والكـرام الكـاتبين والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطواف البيـت المعمور، والملائكة السياحين، إلى آخر من أخبر الله ورسـوله ﷺ عنـهم.

فيجب الإيمان بذلك إيمانا مفصلا على نحو ما جاء في النصوص من أسمائهم وصفاتم، ووظائفهم، وأخبارهم، والتصديق بكل ذلك مما سيأتي بيانه في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

فهذه جملة ما يجب اعتقاده في حق الملائكة الكرام مما دلت عليه النصوص الشرعية والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث: وظائف الملائكة

الملائكـة جند من جنود الله تعالى، أسند الله إليهم كثيرًا مـن الأعمـال الجليلة، والوظائف الكبيرة، وأعطاهم القدرة على تأديتها على أكمل وجـه. وهم بحسب ما هيأهـم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام:

فمنهم **الموكل بالوحي** من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسـلام وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝ ﴾ [1] (الشعراء: ١٩٣- ١٩٥) وقد تقدم أنـه أفضل الملائكة وأكرمهم على الله، وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأديـة مهمته.

ولم يره النبي ﷺ في صورته التي خُلق عليها إلا مرتين، وبقية الأوقـات يأتيه في صورة رجل. رآه مرة بالأفق من ناحية المشرق وفي ذلك يقـول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝ ﴾ [2] (التكوير: ٢٣). ورآه مرة ثانية ليلة الإسراء في السماء وهذا ما أخبر الله عنه بقولـه: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ [3] (النجم: ١٣- ١٥).

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنا سألت النبي ﷺ عن تفسير الآيتين المتقدمتين فقال: «إنما هو جبريل لم أره على صورته الـتي خُلق عليها غير هاتين المرتين. رأيته منهبطًا من السماء سادا عِظَمُ خَلْقِه مـا بين السماء إلى الأرض» [4] [5] .

(١) سورة الشعراء آية : ١٩٣ - ١٩٥ .
(٢) سورة التكوير آية : ٢٣ .
(٣) سورة النجم آية : ١٣ - ١٥ .
(٤) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٢) ، مسلم الإيمان (١٧٧) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٦٨) ، أحمد (٥٠/٦) .
(٥) صحيح مسلم برقم (١٧٧) .

ومنهم الموكل بالقطر والنبات وهو ميكائيل عليه السـلام وقـد ورد ذكره في القرآن. قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [1] (البقرة: ٩٨) وهو ذو مكانه عالية، ومنـزلة رفيعة عند ربه، ولذا خصه الله هنا بالذكر مع جبريل، وعطفـهما علـى الملائكة، مع أنما من جنسهم لشرفهما، من قبيل عطف الخاص على العام. وكذا ورد ذكره في السنة على ما تقدم في دعاء النبي ﷺ في صلاة الليل أنه يقول: « اللهم رب جبريل وميكـائيل وإسرافيل » [2] (..) [3] . ولذا قال العلمـاء إن هؤلاء الثلاثة المذكورين هم أفضل الملائكة.

ومنهم الموكل بالصور وهو إسرافيل عليه السلام وهو ثالث الملائكـة المفضلين المتقدم ذكرهم. وهو أحد حملة العرش. والصور: قرن عظيم ينفـخ فيه. روى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: « جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور ؟ فقال: قرن ينفخ فيه » [4] [5] ورواه أيضـا الحاكـم وصححه ووافقه الذهبي. [6] .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهتـه وأصغى سمعه ينظر متى

---

(١) سورة البقرة آية : ٩٨ .

(٢) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٠) ، الترمذي الدعوات (٣٤٢٠) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٢٥) ، أبو داود الصلاة (٧٦٧) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٧) ، أحمد (١٥٦/٦) .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند : ٦ / ١٥٦ ، والنسائي في السنن : ٣ / ٢١٣ ، برقم (١٦٢٥) ، ونحوهما مسلم في الصحيح برقم (٧٧٠) ، وابن ماجه برقم (١٣٥٧) .

(٤) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٠) ، أبو داود السنة (٤٧٤٢) ، أحمد (١٩٢/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧٩٨) .

(٥) المسند : ٢/ ١٦٢ ، ١٩٢ .

(٦) المستدرك : ٢/ ٥٠٦ ، ٤/ ٥٨٩ ، واللفظ للحاكم .

يؤمر، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول ؟ قـال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ﴾ [١] [٢] قال الترمذي حديـث حسن. وصححه غيره من أهل العلم.

وينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعـق، ونفخة البعث. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٣] (النمل: ٨٧). وهذه هي نفخة الفزع وقـد دل على النفختين الأخريين قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [٤] (الزمر: ٦٨).

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك المـوت قـال تعـالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [٥] (السجدة: ١١).

ولملك الموت أعوان من الملائكة، يأتون العبد بحسب عملـه، وإن كـان محسنًا ففي أحسن هيئة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئـة.

قـال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [٦] (الأنعام: ٦١).

ومنهم الموكل بالجبال وهو ملك الجبال، وقد ورد ذكـره في حديـث خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوتـه إيـاهم وعـدم استجابتهم له وفيه يقول النبي ﷺ ﴿ فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظـرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن

(١) الترمذي تفسير القرآن (٣٢٤٣) ، أحمد (٧/٣) .
(٢) المسند : ٣ / ٧ ، وسنن الترمذي ٤ / ٦٢٠ ، برقم (٢٤٣١) ، ٥ / ٣٧٢- ٣٧٣ ، برقم (٣٢٤٣) .
(٣) سورة النمل آية : ٨٧ .
(٤) سورة الزمر آية : ٦٨ .
(٥) سورة السجدة آية : ١١ .
(٦) سورة الأنعام آية : ٦١ .

الله قد سمع قول قومك لك ومـا ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملـك الجبال. فسلم عليّ ثم قال: يا محمد. فـقال: ذلك فيما شئت، إن شـئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابـهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا ﴾ [(١)] [(٢)] . والأخشبان: هما جبلا مكةَ: أبـو قبيس والذي يقابله.

ومنهم الملك الموكل بالرحم على ما دل عليه حديث أنس بن مـالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ إن الله ﷻ وكل ملكًا يقول: يا رب! نطفـة. يا رب! علقة. يا رب مضغة. فإذا أراد أن يقضي خلقه، قـال: أذكـر أم أنثى ؟ شقي أم سعيد ؟ فما الرزق والأجل ؟ فيكتب في بطن أمه ﴾ [(٣)] [(٤)] .

ومنهم حملة العرش قال تعـالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [(٥)] (غـافر: ٧).

وقال تعالى: ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ ﴾ [(٦)] (الحاقة: ١٧). قـال بعض العلماء: الذين حول العرش هم الملائكة (الكروبيون) وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة [(٧)] .

---

(١) البخاري بدء الخلق (٣٠٥٩) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٩٥) .
(٢) صحيح البخاري ، برقم (٣٢٣١) ، ومسلم برقم (١٧٩٥) .
(٣) البخاري الحيض (٣١٢) ، مسلم القدر (٢٦٤٦) ، أحمد (١١٧/٣) .
(٤) صحيح البخاري برقم (٣١٨) ، ومسلم برقم (٢٦٤٦) .
(٥) سورة غافر آية : ٧ .
(٦) سورة الحاقة آية : ١٧ .
(٧) تفسير ابن كثير (١٢٠/٧) .

ومنهم خزنة الجنة . قال تعالى ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [1] (الزمر: ٧٣). وقال تعالى ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] (الرعد: ٢٣).

ومنهم خزنة النار عياذاً بالله منها وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر. قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [3] (غافر: ٤٩) وقال تعالى ﴿ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ [4] (العلق: ١٧، ١٨). وقال تعالى: ﴿ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [5] (المدثر: ٣٠، ٣١).

وقال تعالى: ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [6] (الزخرف: ٧٧). وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خازن النار ورؤية النبي ﷺ له، ففي صحيح البخاري من حديث سَمُرَة بن جُنْدُب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « رأيت الليلة رجلين أتياني فقالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل » [7] [8].

---

(١) سورة الزمر آية : ٧٣ .
(٢) سورة الرعد آية : ٢٣ .
(٣) سورة غافر آية : ٤٩ .
(٤) سورة العلق آية : ١٧ ، ١٨ .
(٥) سورة المدثر آية : ٣٠ ، ٣١ .
(٦) سورة الزخرف آية : ٧٧ .
(٧) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٤) .
(٨) صحيح البخاري برقم (٣٢٣٦) .

ومنهم زوار البيت المعمور: يدخل في كل يوم منهم البيـت المعمـور سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه على ما ثبت من حديث مـالك بـن صعصعة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (... ﴿ ثم رفـع لي البيت المعمور، فقلت: يـا جبريل! ما هذا ؟ قال: هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم ﴾ [1] [2].

ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر فقد روىَ الشيخان مـن حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكـرون الله تنـادوا هلمـوا إلى حاجتكـم قال فيحفونم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ﴾ [3] ...) [4] قال العلمـاء: وهؤلاء الملائكة زائدون عن الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق.

وقد ثبت أيضًا أنم يبلغون النبي ﷺ من أمته السلام لمـا روى أحمـد والنسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسـول الله ﷺ ﴿ إن لله ﷻ ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام ﴾ [5] [6].

ومنهم الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليـهم. قـال تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢ ﴾ [7] (الانفطار: ١٠

(١) البخاري المناقب (٣٦٧٤) ، مسلم الإيمان (١٦٤) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (٢٠٨/٤) .
(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٠٧) ، ومسلم برقم (١٦٤) واللفظ لمسلم .
(٣) البخاري الدعوات (٦٠٤٥) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٨٩) ، الترمذي الدعوات (٣٦٠٠) ، أحمد (٢٥٢/٢) .
(٤) صحيح البخاري برقم (٦٤٠٨) ، ومسلم برقم (٢٦٨٩) واللفظ للبخاري .
(٥) النسائي السهو (١٢٨٢) ، أحمد (٤٥٢/١) ، الدارمي الرقاق (٢٧٧٤) .
(٦) المسند : ١/ ٤٥٢ ، وسنن الترمذي : ٣/ ٤٣ ، برقم (١٢٨٢) ، واللفظ لأحمد .
(٧) سورة الانفطار آية : ١٠ - ١٢ .

- ١٢) وقال تعالى ﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾ [1] (ق: ١٧،١٨) قال مجـاهد في تفسير الآية: ملك عن يمينه وآخر عن يساره فأما الذي عن يمينـه فيكتـب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر.

ومنهم الموكلون بفتنة القبر وسؤال العباد في **قبورهم** وهما مُنكَـر وَنكِير. وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة. أخرج الشـيخان مـن حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ إن العبد إذا وضع في قـبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان، فيقعدانه فيقـولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قـد أبدلك الله به مقعـدًا مـن الجنة فيراهما جميعًا ﴾ [2] [3] .

وأخرج الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ قال: قـال رسـول الله ﷺ ﴿ إذا قبر الميت أو قال أحدكـم- أتاه ملكـان أسودان أزرقـان يقـال لأحـدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هـذا الرجـل ﴾ [4] ...) [5] الحديث. قال الترمذي حديث حسن.

فهؤلاء هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم مـن الملائكة ممن يتعين على العبد الإيمان بم والتصديق بمدلولات النصوص في حقهم والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة ق آية : ١٧ ، ١٨ .

(٢) البخاري الجنائز (١٣٠٨) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أبو داود السنة (٤٧٥١) ، أحمد (١٢٦/٣) .

(٣) صحيح البخاري برقم (١٣٧٤) ، ومسلم برقم (٢٨٧٠) ، واللفظ للبخاري .

(٤) الترمذي الجنائز (١٠٧١) .

(٥) سنن الترمذي : ٣/ ٣٨٥ ، برقم (١٠٧٣) ، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : ٧/ ٣٨٦ ، برقم (٣١١٧) ، واللفظ للترمذي .

ثمرات الإيمان بالملائكة:

وللإيمان بالملائكة ثمراته العظيمة على المؤمن فمن ذلك:

١- العلم بعظمة خالقهم ﷻ وكمال قدرته وسلطانه.

٢- شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكل بهم من هـؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة.

٣- محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجـه الأكـمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم.

الفصل الثاني

الإيمان بالكتب المنزلة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد في تعريف الوحي لغة وشرعا وبيان أنواعه.

المبحث الأول: حكم الإيمان بالكتب وأدلته.

المبحث الثاني: كيفية الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث: بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى دخلها التحريف وسلامة القرآن من ذلك.

المبحث الرابع: الإيمان بالقرآن وخصائصه.

تمهيد في تعريف الوحي لغة وشرعا وبيان أنواعه

التعريف اللغوي:

الوحي في اللغة: هو الإعلام السريع الخفي.

ويطلق الوحي على: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام. وكل مـا ألقيته على غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان وهو لا يختص بالأنبيـاء ولا يكـونه من عند الله تعالى.

والوحـي بمعناه اللغوي يتناول:

١ - الإلهام الفطري للإنسان كالوحي لأم موسى. قال تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ ﴾ [١] (القصص: ٧).

٢ - الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل. قال تعالى: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا ﴾ [٢] (النحل: ٦٨).

٣ - الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كـإيحاء زكريا لقومه. قـال تعالى ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١ ﴾ [٣] (مريم: ١١).

٤ - وسوسة الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه. قـال تعـالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ ﴾ [٤] (الأنعام: ١٢١).

---

(١) سورة القصص آية : ٧ .

(٢) سورة النحل آية : ٦٨ .

(٣) سورة مريم آية : ١١ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٢١ .

٥ - ما يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه. قال تعـالى: ﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ ﴾ (١) (الأنفال: ١٢).

التعريف الشرعي:

هو " إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة ".

أنواع الوحـي:

لتلقي الوحـي من الله تعالى طرق بينها الله تعالى بقوله في سـورة الشورى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (٢) (الشـورى: ٥١). فأخـبر الله تعالى أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الوحـي المجرد وهو ما يقذفه الله في قلب الموحى إليه مـا أراد بحيث لا يشك فيه أنه من الله. ودليلـه قولـه تعـالى: ﴿ إِلَّا وَحۡيًا ﴾ (٣) (الشورى: ٥١). ومثال ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » (٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه والحـاكـم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي وابن ماجه في سننه وغيرهم (٥) . وألحق بعض أهل العلم بذا القسم رؤى الأنبياء

---

(١) سورة الأنفال آية : ١٢ .
(٢) سورة الشورى آية : ٥١ .
(٣) سورة الشورى آية : ٥١ .
(٤) ابن ماجه التجارات (٢١٤٤) .
(٥) موارد الظمآن (١٠٨٤ ، ١٠٨٥) ، والمستدرك (٢ / ٤) ، وسنن ابن ماجـه (٢١٤٤) ، وابن أبي الدنيا في القناعة ، والبيهقي في شعب الإيمان (المغني عن حمل الأسفار : ٤١٩ ، ٨٩٥) والبغوي ج١٤ / ٣٠٤ برقم (٤١١٢) .

في المنام كرؤيا إبراهيـم عليـه السلام على ما أخبر الله عنه في قوله: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ (1) (الصافات: ١٠٢). وكرؤى النبي ﷺ في بداية البعثة علـى مـا روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿ أول ما بدئ به رسـول الله ﷺ من الوحـي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جـاءت مثل فلق الصبح ﴾ (2) (3) .

المرتبة الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة كما ثبـت ذلـك لبعض الرسل والأنبياء كتكليم الله تعالى لموسى على ما أخـبر الله به في أكـثر من موضع من كتابه. قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ (4) (النسـاء: ١٦٤). وقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ (5) (الأعراف: ١٤٣). وكتكليـم الله لآدم. قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ ﴾ (6) (البقرة: ٣٧). وكتكليـم الله تعالى لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة. ودليل هـذه المرتبة من الآية قوله تعالى: ﴿ أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ (7) (الشـورى: ٥١).

---

(١) سورة الصافات آية : ١٠٢ .
(٢) البخاري بدء الوحي (٤) ، مسلم الإيمان (١٦٠) ، الترمذي المناقب (٣٦٣٢) ، أحمد (٢٣٣/٦) .
(٣) صحيح البخاري برقم (٣) ، وبنحوه في صحيح مسلم برقم (١٦٠) .
(٤) سورة النساء آية : ١٦٤ .
(٥) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .
(٦) سورة البقرة آية : ٣٧ .
(٧) سورة الشورى آية : ٥١ .

المرتبة الثالثة: الوحي بواسطة الـملك. ودليله قوله تعـالى: ﴿ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ﴾ [1] (الشورى: ٥١). وهذا كنـزول جبريل عليـه السلام بالوحي من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نـزل بهذه الطريقة تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله ﷻ وبلغه جبريل لمحمد ﷺ . قال تعـالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [2] (الشعراء: ١٩٢- ١٩٤). وقال تعالى: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [3] (النحل: ١٠٢).

ولجبريل عليه السلام في تبليغه الوحي لنبينا ﷺ ثلاثة أحوال:

١ - أن يراه الرسول ﷺ على صورته التي خلق عليها ولم يحصل هـذا إلا مرتين كما تقدم تقريره في الفصل السابق. [4] .

٢ - أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس فيذهب عنـه وقـد وعـى الرسول ﷺ ما قال.

٣ - أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويخاطبه بالوحي كمـا مـر في حديث جبريل السابق في سؤاله النبي ﷺ عن مراتب الدين. [5] .

وقد أخبر النبي ﷺ عن الحالتين الأخيرتين في إجابته للحارث بن هشام لمـا سأل رسول الله ﷺ فقال: « يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسـول الله ﷺ (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحيانا

(١) سورة الشورى آية : ٥١ .
(٢) سورة الشعراء آية : ١٩٢ - ١٩٤ .
(٣) سورة النحل آية : ١٠٢ .
(٤) انظر ص١١٣ .
(٥) انظر ص١٠٦ .

يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي مـا يقول ﴾ [1] [2] متفق عليه. ومعنى فصم: أي أقلع وانكشف.

المبحث الأول حكم الإيمان بالكتب وأدلته

تعريف الكتب:

الكتب جمع كتاب. والكتاب مصدر كتب يكتب كتابا، ثم سمـي بـه المكتوب والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها كـما في قولـه تعـالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [3] (النسـاء: ١٥٣) يعني صحيفة مكتوباً فيها.

والمراد بالكتب هنا: الكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى الـذيَ أوحاه إلى رسله عليهم السلام. سواء ما ألقاه مكتوبا كالتوراة، أو أنـزله عن طريق الملك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب.

حكم الإيمان بالكتب:

الإيمان بكتب الله التي أنـزل على رسله كلها ركن عظيـم من أركـان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد دل علـى ذلك الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ

(١) البخاري بدء الوحي (٢) ، مسلم الفضائل (٢٣٣٣) ، الترمذي المناقب (٣٦٣٤) ، النسائي الافتتاح (٩٣٤) ، أحمد (٢٥٧/٦) ، مالك النداء للصلاة (٤٧٤) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٢) ، ومسلم برقم (٢٣٣٣) .

(٣) سورة النساء آية : ١٥٣ .

ﭐلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [1] (النساء: ١٣٦). فأمر الله عباده المؤمنين في الآية بالدخول في جميـع شـرائع الإيمان وشعبه وأركانه. فأمرهم بالإيمان بالله ورسـوله وهـو محمـد ﷺ والكتاب الذي أنـزل على رسوله وهو القرآن، والكتاب الذي أنـزل من قبل وهو جميع الكتب المتقدمة: كالتوراة، والإنجيل، والزبـور، ثم بـين في ختام الآية أن من كفر بشيء من أركان الإيمان فقد ضل ضـلالا بعيـدا وخرج عن قصد السبيل ومن أركان الإيمان المذكورة الإيمان بكـتب الله.

وقال تعـالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [2] (البقرة: ١٧٧). فأخبر ﷻ أن حقيقة البر: هو الإيمان بما ذكر من أركـان الإيمان، والعمل بخصال البر الواردة في الآية بعد هذا. وذكر مـن أركـان الإيمان: " الإيمان بالكتاب " قال ابن كثير: هو اسم جنس يشمل الكتـب المنـزلة من السماء على الأنبياء. حتى ختمت بأشرفها، وهـو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب [3] .

ولتقرير الإيمان بالكتب كلها أمر الله عباده المؤمنين أن يخـاطبوا أهـل الكتاب بقوله تعـالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [4] (البقرة: ١٣٦). فتضمنت الآية إيمان المؤمنين بما أنـزل الله عليهم بواسـطة رسوله ﷺ وما أنـزل على أعيان الرسل المذكورين في الآية، وما أنزل على

---

(١) سورة النساء آية : ١٣٦ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٧٧ .
(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٢٩٧ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٣٦ .

بقية الأنبياء في الجملة وأنهم لا يفرقون بين الرسل في الإيمان ببعضـهم دون بعض فانتظم ذلك الإيمان بجميع الرسل وكل ما أنـزل الله عليهم مـن الكتب.

والآيات في تقرير هذا من كتاب الله كثيرة.

وأما السنة فقد دلت كذلك على وجوب الإيمان بالكتب. وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان، دل على ذلك حديث جبريل، وسؤاله النبي ﷺ أركان الإيمان، فذكر النبي ﷺ في إجابته: الإيمان بالكتب مع بقية أركان الإيمان. وقد تقدم الحديث بنصه في الفصل السابق فأغنى عن إعادته هنا [1] .

فتقرر بهذا وجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها، واعتقاد أنها كلها من الله تعالى أنـزلها على رسله بالحق والهدى والنور والضيـاء، وأن من كذب بها أو جحد شيئا منها فهو كافر بالله خارج من الدين.

ثمرات الإيمان بالكتب:

وللإيمان بالكتب آثاره العظيمة على المؤمن فمن ذلك:

١- شكر الله تعالى على لطفه بخلقه وعنايته بهم حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

٢- ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع في هذه الكتب لكل أمـة مـا يناسبها، وكان خاتم الكتب القرآن العظيم مناسبا لجميع الخلق في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة.

٣- إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقـين، وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثل كلامه.

---

(١) انظر ص١٠٦ .

المبحث الثاني كيفية الإيمان بالكتب

الإيمان بكتب الله يشتمل على عدة جوانب دلت النصوص على وجـوب اعتقادها وتقريرها لتحقيق هذا الركن العظيم من أركان الإيمان. وهي:

١ - التصديق الجازم بأنا كلها منـزلة من الله ﷻ وأنا كـلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن الله تكلم با حقيقة كما شاء وعلى الوجه الـذي أراد سبحانه. قال تعـالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝ ﴾ [(١)] (آل عمران: ٢- ٤).

فأخبر الله ﷻ أنه أنـزل هـذه الكتب المذكورة وهي: التوراة، والإنجيل، والقرآن من عنده وهذا يدل علـى أنه هو المتكلم با وأنا منه بدأت لا من غيره، ولذا توعد في نااية السياق من كفر بآيات الله بالعذاب الشديد.

وقال مخبرًا عن التوراة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ ﴾ [(٢)] (المـائدة: ٤٤) فبين أنه تعالى هو الذي أنـزل التوراة وأن ما فيها من الهدى والنـور منـه سبحانه. وقال تعالى في سياق آخر مبيِّنًا أن التوراة من كلامه وذلك في معرض إخباره عن اليهود ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ [(٣)] (البقرة: ٧٥) فكـلام الله الذي سمعوه ثم حرفوه هو التوراة. قاله السدي وابن زيد وجمع من المفسرين.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢ - ٤ .
(٢) سورة المائدة آية : ٤٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ٧٥ .

وقال تعالى في الإنجيـل ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ [1] (المائدة: ٤٧) أي من الأوامر والنواهي التي هي من كلام الله.

وقال في القرآن الكريم: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ [2] (هود: ١). وقال تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾ [3] (النمل: ٦). وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [4] (النحل: ١٠٢). وقال تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [5] (التوبة: ٦). وإنما أمروا أن يسمعوا القرآن الذي أنـزله على رسوله ﷺ فهو كلام الله على الحقيقة.

٢ - الإيمان بأنا دعت كلها إلى عبادة الله وحده وقد جـاءت بالخـير والهدى والنور والضياء. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [6] (آل عمران: ٧٩). فبين الله أنه ما ينبغي لأحد من البشر، آتاه الله الكتاب والحكـم والنبوة، أن يأمر الناس أن يتخذوه إلها من دون الله. وذلك أن كتب الله إنمـا جاءت بإخلاص العبادة لله وحده.

وقال تعالى مبينًا أن كتبه جاءت بالحق والهـدى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [7] (آل عمران: ٣،

(١) سورة المائدة آية : ٤٧ .
(٢) سورة هود آية : ١ .
(٣) سورة النمل آية : ٦ .
(٤) سورة النحل آية : ١٠٢ .
(٥) سورة التوبة آية : ٦ .
(٦) سورة آل عمران آية : ٧٩ .
(٧) سورة آل عمران آية : ٣ ، ٤ .

٤). وقال تعـالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ (١) (البقرة: ٢١٣). وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ ﴾ (٢) (المائدة: ٤٤). وقال تعـالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (٣) (المائدة: ٤٦). وقال تعـالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ (٤) (البقرة: ١٨٥). إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة أن كتب الله تعالى قد جـاءت بـالهدى والنور من الله تعالى.

٣ - الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضًا فلا تنـاقض بينـها ولا تعارض كما قال تعالى في القرآن ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ (٥) (المائدة: ٤٨). وقال في الإنجيل: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ (٦) (المـائدة: ٤٦). فيجب الإيمان بذا واعتقاد سلامة كتب الله من كل تنـاقض أو تعـارض، وهذا من أعظم خصائص كتب الله عن كتب الخلق وكلام الله عن كـلام الخلق فإن كتب المخلوقين عرضة للنقص والخلل والتعارض كما قال تعـالى في وصف القرآن ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (٧) (النساء: ٨٢).

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١٣ .
(٢) سورة المائدة آية : ٤٤ .
(٣) سورة المائدة آية : ٤٦ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٨٥ .
(٥) سورة المائدة آية : ٤٨ .
(٦) سورة المائدة آية : ٤٦ .
(٧) سورة النساء آية : ٨٢ .

٤ - الإيمان بما سمى الله ﷻ من كتبـه علـى وجـه الخصـوص، والتصديق بها، وبإخبار الله ورسوله عنها. وهذه الكتب هي:

أ) التوراة: وهي كتاب الله الذي آتاه موسى عليه السلام. قال تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ ﴾ [(١)] (القصص: ٤٣). وفي حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديـث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: (... ﴿ فيأتون إبراهيم فيقول: لسـت هُناكـم ويذكر خطيئته التي أصابها ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التـوراة وكلمه تكليما ﴾ [(٢)] [(٣)] وقد ألقى الله التوراة على موسى مكتوبة في الألـواح وفي ذلك يقول سبحانه ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [(٤)] (الأعراف: ١٤٥). قال ابن عباس (يريـد ألـواح التـوراة). وفي حديث احتجاج آدم وموسى من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي: (... ﴿ قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده ﴾ [(٥)] أخرجـاه في الصحيحين من طرق كثيرة [(٦)] . والتوراة هي أعظم كتب بـني إسـرائيل وفيها تفصيل شريعتهم وأحكامهم التي أنـزلها الله على موسى وقد كان على العمل بها أنبيـاء بني إسرائيل الذين جاءوا من بعد موسى كما قـال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا

---

(١) سورة القصص آية : ٤٣ .

(٢) البخاري التوحيد (٦٩٧٥) ، مسلم الإيمان (١٩٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٣١٢) ، أحمد (١١٦/٣) ، الدارمي المقدمة (٥٢) .

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٤١٠) ، ومسلم برقم (١٩٣) .

(٤) سورة الأعراف آية : ١٤٥ .

(٥) البخاري القدر (٦٢٤٠) ، مسلم القدر (٢٦٥٢) ، الترمذي القدر (٢١٣٤) ، أبو داود السنة (٤٧٠١) ، ابن ماجه المقدمة (٨٠) ، أحمد (٢٤٨/٢) ، مالك الجامع (١٦٦٠) .

(٦) صحيح البخاري برقم (٦٦١٤) ، ومسلم برقم (٢٦٥٢) ، وفي إحداها : " وكتب لك التوراة بيده " .

ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [1] (المائدة: ٤٤). وقد أخبر الله في كتابه عن تحريف اليهود للتوراة وتبديلها على ما سيأتي بسط هذا في المبحث القادم إن شاء الله.

ب) الإنجيل: وهو كتاب الله الذي أنزله على عيسى ابن مريم عليهما السلام. قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2] (المائدة: ٤٦).

وقد أنزل الله الإنجيل مصدقا للتوراة وموافقا لها كما تقدم في الآية السابقة.

قال بعض العلماء[3] لم يخالف الإنجيل التوراة إلا في قليل من الأحكام مما كانوا يختلفون فيه كما أخبر الله عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ [4] (آل عمران: ٥٠).

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن التوراة والإنجيل نصا على البشارة بنبينا محمد ﷺ. قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [5] (الأعراف: ١٥٧).

وقد لحق الإنجيل من التحريف ما لحق التوراة، كما سيأتي بيانه في المبحث القادم بحول الله.

---

(١) سورة المائدة آية : ٤٤ .

(٢) سورة المائدة آية : ٤٦ .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦) .

(٤) سورة آل عمران آية : ٥٠ .

(٥) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .

ج) الزبور: وهو كتاب الله الذي أنـزله على داود عليه السلام. قـال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [1] (النساء: ١٦٣). قال قتادة في تفسير الآية: " كنـا نحدث أنه دعاء علمه الله داود وتحميد وتمجيد لله ﷻ ليس فيه حـلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ".

د) صحف إبراهيم وموسى: وقد جاء ذكرها في موضعين من كتـاب الله، الأول في سورة النجم في قول الله تعـالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [2] (النجم: ٣٦-٣٩). والثاني في سورة الأعلى، قال تعـالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [3] (الأعلى: ١٤- ١٩). فأخبر الله ﷻ عن بعض ما جاء في هـذه الصحـف من وحيه الذي أنـزله على رسوليه إبراهيم وموسـى عليـهما السلام. والعلم عند الله.

هـ) القرآن العظيم: وهو كتاب الله الذي أنـزله على نبينا محمـد ﷺ مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وهو آخر كتب الله نـزولا وأشرفها وأكملها، والناسخ لما قبله من الكتب وقد كانـت دعوتـه لعامـة الثقلين من الإنس والجن. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [4] (المائدة: ٤٨) ومهيمنًا: أي شهيدًا علـى ما قبله من الكتب وحاكما عليها. وقال

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٣ .
(٢) سورة النجم آية : ٣٦ - ٣٩ .
(٣) سورة الأعلى آية : ١٤ - ١٩ .
(٤) سورة المائدة آية : ٤٨ .

تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ (1) (الأنعام: ١٩). وقال ﷻ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ (2) (الفرقان: ١). وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، والفرقـان، والكتاب، والتنـزيل، والذكر.

فيجب الإيمان بذه الكتب على ما جاءت به النصوص، من ذكر أسمائها، ومن أنـزلت فيهم، وكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ عنها، وما قُص علينـا من أخبار أهلها.

٥ - الاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنـزلها الله علـى رسله، بالقرآن الكريم، وأنه لا يسع أحدًا من الإنس أو الجن، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم، أن يعبدوا الله بعد نـزول القرآن بغير مـا جـاء فيه أو يتحاكموا إلى غيره. والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة. قال تعـالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ (3) (الفرقان: ١). وقال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾ (4) (المائدة: ١٥، ١٦).

وقال تعالى آمرا نبيه ﷺ أن يحكـم بين أهل الكتاب بـالقرآن ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ (5) (المائدة: ٤٨). وقال أيضا ﴿

(١) سورة الأنعام آية : ١٩ .
(٢) سورة الفرقان آية : ١ .
(٣) سورة الفرقان آية : ١ .
(٤) سورة المائدة آية : ١٥ ، ١٦ .
(٥) سورة المائدة آية : ٤٨ .

وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [1] (المائدة: ٤٩).

ومن السنة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: ﴿ أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني ﴾ [2] رواه أحمد والبزار والبيهقي [3] وغيرهم وهو حديث حسن بمجموع طرقه. ومعنى متهوكون: متحيرون.

فهذا ما يجب اعتقاده في كتب الله على سبيل الإجمال وسيأتي تفصيل ما يجب اعتقاده في القرآن على وجه الخصوص في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

(١) سورة المائدة آية : ٤٩ .
(٢) أحمد (٣٨٧/٣) ، الدارمي المقدمة (٤٣٥) .
(٣) مسند الإمام أحمد : ٣ / ٣٨٧ ، وكشف الأستار : ١٣٤ ، وشعب الإيمان للبيهقي : (١٧٧) .

المبحث الثالث

بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى

الـ لة دخلها التحريف وسلامة القرآن من ذلك

تحريف أهل الكتاب لكـلام الله:

أخبر الله ﷻ في القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب لكتـب الله المنـزلة عليهم وتغييرها وتبديلها.

قال تعالى في حق اليهود: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [1] (البقرة: ٧٥). وقال عـز وجـل: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [2] (النساء: ٤٦).

وقال تعالى مخبرا عن النصـارى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ ﴾ [3] (المائدة: ١٤، ١٥).

فدلت الآيات على تحريف اليهود والنصارى كتب الله المنـزلة عليهم.

وقد كـان هذا التحريف بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرى.

فدليل الزيادة قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [4] (البقرة: ٧٩).

---

(١) سورة البقرة آية : ٧٥ .

(٢) سورة النساء آية : ٤٦ .

(٣) سورة المائدة آية : ١٤ ، ١٥ .

(٤) سورة البقرة آية : ٧٩ .

ودليل النقص قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [1] (المائدة: ١٥). وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ ﴾ [2] (الأنعام: ٩١).

تحريف التوراة والإنجيل وأدلة ذلك:

هذا ما جاء في تحريف أهل الكتاب لكلام الله وكتبه في الجملة. وأما التوراة والإنجيل خاصة فقد دلت الأدلة مما تقدم وغيرها على وقوع التحريف فيهما.

فمن أدلة تحريف التوراة قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [3] (الأنعام: ٩١). وجاء في تفسير الآية: (أي تجعلون الكتاب الذي جاء به موسى في قراطيس تضعونه فيها ليتم لكم ما تريدونه من التحريف والتبديل وكتم صفة النبي ﷺ المذكورة فيه).

وقال تعالى: ﴿ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [4] (البقرة: ٧٥) قال السدي في تفسير الآية: (هي التوراة حرفوها). وقال ابن زيد: (التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا).

(١) سورة المائدة آية : ١٥ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٩١ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٩١ .
(٤) سورة البقرة آية : ٧٥ .

ودليل تحريف الإنجيل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾ [1] (المائدة: ١٤-١٥). قال بعض أئمة التفسير في تفسير الآية الأخيرة: (أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غـيروه ولا فائدة في بيانه [2] .

فدلت هذه الآيات على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيـل. ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن التوراة والإنجيل قد دخلهما التحريـف والتغيير.

سلامة القرآن من التحريف وحفظ الله له وأدلة ذلك:

أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ على الكتب السابقة من التحريـف والتبديل وهو محفوظ من كل ذلك بحفظ الله له وصيانته إياه كما أخـبر الله عن ذلك بقوله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [3] (الحجر: ٩). قـال الطبري في تفسير الآية: " قال وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مـا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه [4] ". كمـا أخبر الله في آيات أخرى عن تمام إحكامه للقرآن وتفصيله وتنـزيهه مـن كل باطل فقال عز من قائل: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾ [5] (فصلت: ٤٢). وقال تعالى: ﴿ الٓرۚ

---

(١) سورة المائدة آية : ١٤ - ١٥ .
(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٦٣ .
(٣) سورة الحجر آية : ٩ .
(٤) تفسير ابن جرير ١٤ / ٧ .
(٥) سورة فصلت آية : ٤٢ .

كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [1] (هود: ١). وقال عز وجـل: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] (القيامة: ١٦، ١٧).

فدلت هذه الآيات على كمال حفظ الله للقرآن لفظـا ومعنى بـدءا بنـزوله إلى أن يأذن الله برفعه إليه سليما من كل تغيير أو تبديل. إذ تكفـل بتعليمه لنبيه ﷺ ثم جمعه في صدره وبيانه له وتفسيره في سنته المطـهرة، ثم ما هيأ الله له بعد ذلك من عدول الرجال الذيـن حفظـوه في الصـدور والسطور، عبر الأجيال والقرون، فبقي سليما منـزها من كل باطل، يقرؤه الصغار والكبار، على مختلف الأعصار والأمصار، غضا طريا كما أنـزل من الله على رسوله ﷺ .

وقد نبه العلماء في هذا المقام إلى سر لطيف ونكتة بديعة تتعلـق بجـواز التحريف على التوراة وعدم جوازه على القرآن على ما روى أبو عمـرو الداني عن أبي الحسن المنتاب قال: (كنت يوما عند القاضي أبي إسـحاق إسماعيل بن إسحاق فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز علـى أهل القرآن ؟ فقال القاضي: قال الله عـز وجـل في أهـل التـوراة ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [3] (المائدة: ٤٤) فوكل الحفظ إليهم فجاز التبديـل عليهم. وقال في القرآن ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [4] (الحجر: ٩) فلم يجز التبديل عليهم. قال: فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت لـه الحـكـاية فقال: " ما سمعت كلاما أحسن من هذا ".

(١) سورة هود آية : ١ .
(٢) سورة القيامة آية : ١٦ ، ١٧ .
(٣) سورة المائدة آية : ٤٤ .
(٤) سورة الحجر آية : ٩ .

المبحث الرابع الإيمان بالقرآن وخصائصه

تعريف القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي والفـرق بينهما:

القرآن الكريم: هو كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل عليه السلام من الله ﷻ ونزل به على خاتم رسله محمد ﷺ بلفظـه ومعناه المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف المحفـوظ من التغيير والتبديل. [1] .

والحديث القدسي: هو ما رواه النبي ﷺ عن ربه باللفظ والمعنى ونقـل إلينا آحادا أو متواترا ولم يبلغ تواتر القرآن [2] .

ومثاله حديث أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجـل أنه قال: ﴿ يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فـلا تظالموا ﴾ [3] [4] .

والحديث النبوي: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقريـر أو وصف. [5] .

والفرق بين القرآن والحديث القدسي والنبوي: أن القرآن متعبد بتلاوته معجز في نظمه متحدى به، يحرم مسه لمحدث، وتلاوته لنحو جنب، وروايته بالمعنى، وتتعين قراءته في الصلاة، ويؤجر قارئه بكل حـرف منـه حسنة والحسنة بعشر حسنات. بخلاف الحديث القدسي والحديث النبـوي فإنما ليسا كذلك.

---

(١) الطحاوية ١ / ١٧٢ . مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، ص٢١ ، وقواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص٦٥ .

(٢) انظر قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص٦٥ .

(٣) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٧٧) .

(٤) رواه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

(٥) مصطلح الحديث لابن عثيمين ص٧ ، وقواعد التحديث للقاسمي ص٦١-٦٢ .

والفرق بين الحديث القدس والنبوي: أن الحديث القدسي من كـلام الله بلفظه ومعناه بخلاف الحديث النبوي فهو من كلام النبي ﷺ لفظـًا ومعنى، وأن الحديث القدسي أفضل من الحديث النبوي وذلك لفضل كـلام الله على كلام المخلوقين.[1] .

خصائص الإيمان بالقرآن:

الإيمان بكتب الله ركن عظيم من أركان الإيمان على ما تقدم تقريـره، ولما كان القرآن العظيم هو الكتاب الناسخ للكتب السابقة والمهيمن عليـها والمتعبد به لعامة الثقلين بعد بعثة نبينا محمد ﷺ ونـزول هـذا الكتـاب عليه، اختص الإيمان به بخصائص ومميزات لا بد من تحقيقـها للإيمـان بـه بالإضافة إلى ما تم تقريره من مسائل في تحقيق الإيمان بالكتب إجمالا. وهذه الخصائص هي:

١- اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين مـن الجن والإنس لا يسع أحدًا منهم إلا الإيمان به ولا أن يعبدوا الله إلا بما شـرع فيه. قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[2] (الفرقان: ١). وقال تعالى مخبرًا على لسان نبيه ﷺ ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[3] (الأنعام: ١٩). وقال تعالى إخبارًا عن الجـن: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾[4] (الجن: ١، ٢).

٢ - اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة فلا يجوز لأهـل الكتـاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نـزول القرآن بغيره، فلا دين إلا ما جاء بـه، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، ولا حلال إلا ما أحل فيه، ولا حرام إلا ما حـرم فيه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ

(١) انظر قواعد التحديث للقاسمي ص٦٥- ٦٦ .
(٢) سورة الفرقان آية : ١ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٩ .
(٤) سورة الجن آية : ١ ، ٢ .

ﱡٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُﱠ[1] (آل عمران: ٨٥). وقال تعالى: ﱡإِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚﱠ[2] (النساء: ١٠٥). وقد تقدم في حديث جابر بن عبد الله نـهي النبي ﷺ أصحابه عن قراءة كتب أهل الكتاب وقوله: (... ﱡوالذي نفسي بيده لـو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنيﱠ[3] [4] .

٣ - سماحة الشريعة التي جاء بـا القرآن ويسرها، بخـلاف الشـرائع في الكتب السابقة. فقد كانت مشتملة على كثير من الآصار، والأغلال الـتي فرضت على أصحابـا. قال تعالى: ﱡٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚﱠ[5] (الأعراف: ١٥٧).

٤ - أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنـوي. قـال تعالى ﱡإِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ﱠ[6] (الحجر: ٩). وقال تعالى: ﱡلَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ﱠ[7] (فصلت: ٤٢). وقال ﷻ مبينًا تكفله بتفسيره وتوضيحه علـى مـا أراد وشرع: ﱡإِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ

---

(١) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

(٢) سورة النساء آية : ١٠٥ .

(٣) أحمد (٣/٣٨٧) ، الدارمي المقدمة (٤٣٥) .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند : ٣ / ٣٨٧ ، وغيره .

(٥) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .

(٦) سورة الحجر آية : ٩ .

(٧) سورة فصلت آية : ٤٢ .

﴿فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ (1) (القيامة: ١٧-١٩). قال ابن كثير في تفسير الآية الأخـيرة: " أي بعـد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشـرعنا ". وقد هيأ الله تعالى لحفظ كتابه من العلماء الجهابذة من قاموا بذلك خير قيـام، من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا، فحفظوا لفظه وفهموا معناه، واستقاموا على العمل به، ولم يَدَعوا مجالا من مجالات خدمة القرآن وحفظه إلا وألفوا فيـه المؤلفات المطولة، فمنهم من ألف في تفسيره، ومنهم مـن ألـف في رسمـه وقراءاته، ومنهم من ألف في محكمه ومتشابه، ومنهم من ألـف في مكيـه ومدنيه، ومنهم من ألف في استنباط الأحكام منه، ومنهم من ألف في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من ألف في أسباب نـزوله، ومنهم من ألف في أمثالـه، ومنهم من ألف في إعجازه، ومنهم من ألف في غريبه، ومنهم من ألـف في إعرابه، إلى غير ذلك من المجالات التي تجسد من خلالها حفظ الله لكتابه بما هيأ له هؤلاء العلماء من خدمة كتابه وعلومه حتى بقي محفوظًا يقرأ ويفسـر غضا طريا كما أنـزل.

٥ - أن القرآن الكريم مشتمل على وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غـيره من الكتب المنـزلة، وهو في الجملة المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه ﷺ وأتباعه إلى قيام الساعة، على ما روى الشـيخان مـن حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿ما من الأنبياء نبي إلا أعطـى مـن الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحـاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة﴾ (2) (3) . ومن صور إعجـاز القرآن حسن تأليفه وفصاحته وبلاغته وقد وقع التحدي للإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو ببعضه على مراتب ثلاث: فقد تحداهم الله

(١) سورة القيامة آية : ١٧ - ١٩ .
(٢) البخاري فضائل القرآن (٤٦٩٦) ، مسلم الإيمان (١٥٢) ، أحمد (٢/٤٥١) .
(٣) صحيح البخاري برقم (٤٩٨١) ، ومسلم برقم (١٥٢) .

على أن يأتوا بمثله فعجزوا وما استطاعوا. قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] (الطور: ٣٣، ٣٤). وقال ﷻ مقررًا عجزهم عن ذلك ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [2] (الإسراء: ٨٨). ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فما قدروا. قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [3] (هود: ١٣). ثم تحداهم مرة ثالثة بأن يأتوا بسورة منه فما استطاعوا. قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [4] (يونس: ٣٨). فثبت بهذا إعجاز القرآن على أبلغ وآكده، لما عجز الخلق عن معارضته بأدنى مراتب التحدي، وهو الإتيان بسورة من مثله، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات.

٦ - أن الله تعالى بين في القرآن كل شيء مما يحتاج له الناس في أمر دينهم، ودنياهم، ومعاشهم، ومعادهم. قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [5] (النحل: ٨٩). وقال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى

---

(١) سورة الطور آية : ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) سورة الإسراء آية : ٨٨ .
(٣) سورة هود آية : ١٣ .
(٤) سورة يونس آية : ٣٨ .
(٥) سورة النحل آية : ٨٩ .

ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ ﴾ [(١)] (الأنعام: ٣٨). قال ابن مسـعود ﷺ " أنـزل في هذا القرآن كل علم، وكل شيء قد بين لنا في القرآن ".

٧ - أن الله تعالى يسر القرآن للمتذكر والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [(٢)] (القمر: ١٧). وقـال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدبرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } [(٣)] (ص: ٢٩). قال مجاهد في تفسير الآية الأولى: " يعني هونـا قراءتـه ". وقـال السدي: " يسرنا تلاوته على الألسن ". وقال ابن عباس: " لولا أن الله يسـره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله " [(٤)] . وقـد ذكر الطبري وغيره من أئمة التفسير أن تيسير القرآن يشمل تيسير اللفـظ للتلاوة وتيسير المعاني للتفكر والتدبر والاتعاظ [(٥)] وهو كذلك كمـا هـو ملاحظ ومشاهد.

٨ - أن القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصـول شـرائع الرسل. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ ﴾ [(٦)] (المائدة: ٤٨). وقال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ ﴾ [(٧)] (الشورى: ١٣).

---

(١) سورة الأنعام آية : ٣٨ .
(٢) سورة القمر آية : ١٧ .
(٣) سورة ص آية : ٢٩ .
(٤) تفسير ابن كثير ٨ / ٤٥٣ .
(٥) تفسير ابن جرير ٢٧ / ٩٦ .
(٦) سورة المائدة آية : ٤٨ .
(٧) سورة الشورى آية : ١٣ .

٩ - أن القرآن مشتمل على أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلـك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله. قال تعالى: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [1] (هود: ١٢٠). وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [2] (هود: ١٠٠). وقال تعـالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [3] (طه: ٩٩).

١٠ - أن القرآن هو آخر كتب الله نـزولا وخاتمها والشاهد عليها. قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ ﴾ [4] (آل عمـران: ٣، ٤). وقـال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ [5] (المائدة: ٤٨).

فهذه بعض خصائص القرآن الكريم على سائر الكتب الأخرى مـما لا يتحقق الإيمان به إلا باعتقادها وتحقيقها علمًا وعملًا. والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة هود آية : ١٢٠ .

(٢) سورة هود آية : ١٠٠ .

(٣) سورة طه آية : ٩٩ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٣ ، ٤ .

(٥) سورة المائدة آية : ٤٨ .

الفصل الثالث

الإيمان بالرسل

ويحتوي على أحد عشر مبحثًا:

المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسل وأدلته.

المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

المبحث الثالث: كيفية الإيمان بالرسل.

المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسل.

المبحث الخامس: أولو العزم من الرسل.

المبحث السادس: خصائص نبينا محمد ﷺ وحقوقه على أمته مـع بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق.

المبحث السابع: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده.

المبحث الثامن: الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدلته.

المبحث التاسع: القول الحق في حياة الأنبياء عليهم السلام.

المبحث العاشر: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء.

المبحث الحادي عشر: الولي والولاية في الإسلام.

المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسل وأدلته

الإيمان برسل الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين وركن عظيم من أركان الإيمان. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [1] (البقرة: ٢٨٥).

فذكر الله تعالى الإيمان بالرسل في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، من أركان الإيمان. وبين أنهم في إيمانهم بالرسل لا يفرقون بينهم فيؤمنوا ببعضهم دون بعض، بل يصدقون بهم جميعًا.

وقد بين الله في كتابه حكم من ترك الإيمان بالرسل. فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ ﴾ [2] (النساء: ١٥٠، ١٥١). فأطلق الكفر على من كذب بالرسل أو فرق بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم. ثم قرر أن هؤلاء هم الكافرون حقًّا أي الذين تحقق كفرهم وتقرر صراحة.

كما بين الله في مقابل ذلك في السياق نفسه ما عليه أهل الإيمان من ذلك فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ [3] (النساء: ١٥٢). فوصفهم بالإيمان بالله ورسله كلهم من غير تفريق بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون بعض وإنما يعتقدون أنهم مرسلون من الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(٢) سورة النساء آية : ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) سورة النساء آية : ١٥٢ .

وأما السنة فدلت كذلك على ما دل عليه الكتاب من أن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان وقد دَلّ على ذلك حديث جبريل المتقدم بنصـه في مبحـث " الإيمان بالملائكة " وفيه أن النبي ﷺ أجاب لما سأله جبريل عليـه السلام عن الإيمان فقال: ﴿ أن تؤمن بالله وملائكـته وكتبه ورسـله واليـوم الآخر ﴾ [1] ...) [2] الحديث. فذكر الإيمان بالرسل مع بقية أركان الإيمان الأخرى الواجـب على المسلم تحقيقها واعتقادها.

وفي دعاء النبي ﷺ في التهجد عند قيام الليل أنه كان يقول: ﴿ اللهم لـك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنـت قيـم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحـق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حـق، والنـار حـق، والنبيون حق، والساعة حق ﴾ [3] ...) [4] .

فشهادة النبي ﷺ أن النبيين حق ضمن ما ذكر من أصول الإيمان العظيمة كالإيمان بالله وبوجود الجنة والنار وقيام الساعة وتقديمه ذلك بـين يـدي دعائه وقيامه دليل على أهمية الإيمان بالرسل والأنبياء ومكانته في الدين.

فتقرر وجوب الإيمان بالرسل وأنه من أعظم دعائم هذا الدين ومن أكـبر خصال الإيمان وأن من كذب بالرسل أو بأحد منهم فإنه كافر بالله العظيـم كفرًا صريحًا بجحده هذا الركن العظيم من أركان الإيمان.

---

(١) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٥٢/١) .

(٢) تقدم ص١١٣ .

(٣) البخاري التوحيد (٧٠٦٠) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٩) ، الترمذي الدعوات (٣٤١٨) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦١٩) ، أبو داود الصلاة (٧٧١) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٥) ، أحمد (٣٥٨/١) ، مالك النداء للصلاة (٥٠٠) ، الدارمي الصلاة (١٤٨٦) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٤٩٩) .

ثمرات الإيمان بالرسل:

إذا تحقق الإيمان بالرسل ترك آثاره الطيبة وثماره اليانعة على المؤمن فمـن ذلك:

١ - العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

٢ - شكر الله على هذه النعمة الكبرى.

٣ - محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده، ولما قاموا به من تبليغ رسالة الله لخلقه وكمال نصحـهم لأقوامهم وصبرهم على أذاهم.

المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

النبي في اللغة: مشتق من النبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة. قال تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ﴾ [1] (النبأ: ١، ٢). وسمي النبي نبيا لأنه مُخبرٌ من الله، ويُخْبِرُ عن الله فهو مُخَبَر ومُخبِر.

وقيل النبي مشتق من النباوة: وهي الشيء المرتفع.

وسمي النبي نبيا على هذا المعنى: لرفعة محله على سائر الناس. قال تعالى ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ ﴾ [2] (مريم: ٥٧).

والرسول في اللغة: مشتق من الإرسال وهو التوجيه. قال تعالى مخبرًا عن ملكة سبأ: ﴿ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٣٥ ﴾ [3] (النمل: ٣٥).

وقد اختلف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول في الشرع على أقوال أرجحها:

أن النبي: هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين.

والرسول: هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله.

والفرق بينهما:

أن النبي هو من نبأه الله بأمره ونهيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم.

وأما الرسول فهو من أرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبلغهم رسالة الله ويدعوهم إلى عبادته.

---

(١) سورة النبأ آية : ١ ، ٢ .

(٢) سورة مريم آية : ٥٧ .

(٣) سورة النمل آية : ٣٥ .

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فقد كان يوسف علـى ملة إبراهيم، وداود وسليمان كـانا على شريعة التوراة وكلهم رسل. قـال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ ﴾ [1] (غافر: ٣٤). وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [2] (النسـاء: ١٦٣، ١٦٤).

وقد يطلق على النبي أنه رسول كـما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [3] (الحج: ٥٢) فذكر الله ﷻ أنه يرسل النبي والرسول. وبيان ذلك أن الله تعالى إذا أمر النبي بدعوة المؤمنين إلى أمر فهو مرسل من الله إليهم لكن هذا الإرسال مقيـد. وأما الإرسال المطلق فهو بإرسال الرسل إلى عامة الخلـق مـن الكفـار والمؤمنين.

---

(١) سورة غافر آية : ٣٤ .

(٢) سورة النساء آية : ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٣) سورة الحج آية : ٥٢ .

المبحث الثالث: كيفية الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه وأخبر به النبي ﷺ في سنته إجمالا وتفصيلا.

فالإيمان المجمل:

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [1] (النحل: ٣٦). وبأنهم جميعهم صادقون، بارون، راشدون، كرام بررة، أتقياء أمناء، هداة مهتدون. قال تعالى: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [2] (يس: ٥٢). وقال تعالى بعد أن ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والرسل: ﴿ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [3] (الأنعام: ٨٧، ٨٨).

وبأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين جاءوا بالبينات من ربهم إلى أقوامهم. قال تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ [4] (الأعراف: ٤٣). وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [5] (الحديد: ٢٥).

---

(١) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٢) سورة يس آية : ٥٢ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٨٧ ، ٨٨ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٤٣ .
(٥) سورة الحديد آية : ٢٥ .

وبأن أصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله وأمـا شـرائعهم فمختلفة. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1] (الأنبياء: ٢٥). وقال ﷻ ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ [2] (المائدة: ٤٨).

وبأنهم قد بلغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجـة على الخلق. قال تعالى: ﴿ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [3] (الجن: ٢٨). وقال تعالى: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [4] (النسـاء: ١٦٥).

ويجـب الإيمان بأن الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبيـة شيء. وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة. قال تعالى: ﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ﴾ [5] (إبراهيم: ١١). وقال تعالى عن نوح: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ ﴾ [6] (هود: ٣١). وقال ﷻ آمرًا نبينا محمدًا ﷺ أن يقول لقومه: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ ﴾ [7] (الأنعام: ٥٠).

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(٢) سورة المائدة آية : ٤٨ .
(٣) سورة الجن آية : ٢٨ .
(٤) سورة النساء آية : ١٦٥ .
(٥) سورة إبراهيم آية : ١١ .
(٦) سورة هود آية : ٣١ .
(٧) سورة الأنعام آية : ٥٠ .

ومما يجب اعتقاده أيضًا في حق الرسل أنم منصورون مؤيدون مـن الله، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم. قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [1] (غافر: ٥١). كما يجب اعتقـاد تفـاضل الرسل على ما أخبر ﷻ في قوله تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [2] (البقرة: ٢٥٣).

فيجـب الإيمان بكل هذا وبكل ما جاء في الكتاب والسنة عـن الرسـل على وجه العموم إيمانًا مجملًا.

وأما الإيمان المفصل:

فيكون بالإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه والنبي ﷺ في سنته منهـم، إيمانًا مفصلًا على نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبـارهم وفضائلهم وخصائصهم.

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون. ورد ذكـر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [3] (الأنعام: ٨٣-٨٦). وورد ذكر الباقين في مواضع أخرى من القرآن. قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ ﴾ [4] (الأعـراف: ٦٥).

---

(١) سورة غافر آية : ٥١ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٨٣ - ٨٦ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٦٥ .

وقال: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ ﴾ [1] (الأعـراف: ٧٣). وقـال ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ ﴾ [2] (الأعراف: ٨٥). وقـال: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا ﴾ [3] (آل عمران: ٣٣). وقال: ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ ﴾ [4] (الأنبياء: ٨٥). وقال: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [5] (الفتح: ٢٩). فيجب الإيمان بؤلاء الأنبياء والمرسـلين إيمانـًا مفصلًا، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة على مـا أخـبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

كما يجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص مـن ذكـر فضائلـهم وخصائصهم وأخبارهم، كاتخاذ الله إبراهيمَ ومحمدًا صلى الله عليهما وسـلم خليلين لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥ ﴾ [6] (النسـاء: ١٢٥). ولقول النبي ﷺ ﴿إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا﴾ [7] أخرجـه مسـلم [8] . وكـتكليم الله تعالى لموسى لقولـه تعـالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ [9] (النساء: ١٦٤). وكذلك تسخير الجبال والطير لداود يسبحن بتسبيحه، قـال تعـالى: ﴿ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ

---

(١) سورة الأعراف آية : ٧٣ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٨٥ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٣٣ .
(٤) سورة الأنبياء آية : ٨٥ .
(٥) سورة الفتح آية : ٢٩ .
(٦) سورة النساء آية : ١٢٥ .
(٧) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) .
(٨) صحيح مسلم برقم (٥٣٢) .
(٩) سورة النساء آية : ١٦٤ .

﴿يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [1] (الأنبياء: ٧٩). وإلانة الحديد لداود كما قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [2] (سبأ: ١٠). وتسخير الرياح لسليمان تسير بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ﴾ [3] (سبأ: ١٢). وتعليم سليمان منطق الطير، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ﴾ [4] (النمل: ١٦).

كما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قص الله ﷻ في كتابه من أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لرسله وأتباعهم. كقصة موسى مع فرعون، وإبراهيم مع قومه، وقصص نوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم. وما قص الله علينا في شأن يوسف مع إخوته وأهل مصر، وقصة يونس مع قومه، إلى آخر ما جاء في كتاب الله من أخبار الأنبياء والرسل، وكذلك ما جاء في السنة فيجب الإيمان به إيمانًا مفصلًا بحسب ما جاءت به النصوص.

وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل بقسميه المجمل والمفصل. والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٧٩ .
(٢) سورة سبأ آية : ١٠ .
(٣) سورة سبأ آية : ١٢ .
(٤) سورة النمل آية : ١٦ .

المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسل

يجب على الأمة تجاه الرسل حقوق عظيمة بحسب ما أنـزلهم الله مـن المنازل الرفيعة في الدين، وما رفعهم الله إليه من الدرجات السامية الجليلـة عنده، وما شرفهم به من المهمات النبيلة وما اصطفاهم به من تبليغ وحيـه وشرعه لعامة خلقه. ومن هذه الحقوق:

١ - تصديقهم جميعًا فيما جاءوا به، وأنهم مرسلون من ربهم، مبلغون عن الله ما أمرهم الله بتبليغه لمن أرسلوا إليهم وعدم التفريق بينـهم في ذلـك. قـال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [1] (النسـاء: ٦٤). وقـال تعـالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ [2] (المائدة: ٩٢). وقال عز وجـل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ ﴾ [3] (النساء: ١٥٠، ١٥١). فيجب تصديق الرسل فيما جاءوا بـه من الرسالات وهذا مقتضى الإيمان بهم.

ومما يجب معرفته أنه لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحدٍ من الرسـل السابقين بعد مبعث محمد ﷺ المبعوث للناس كافة، إذْ أن شريعته جـاءت ناسخة لجميع شرائع الأنبياء قبله فلا دين إلا ما بعثه الله به ولا متابعـة إلا لهذا النبي الكريم. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [4] (آل عمران: ٨٥).

وقال تعـالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

---

(١) سورة النساء آية : ٦٤ .
(٢) سورة المائدة آية : ٩٢ .
(٣) سورة النساء آية : ١٥٠ ، ١٥١ .
(٤) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] (سبأ: ٢٨). وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [2] ... (الأعراف: ١٥٨).

٢ - موالاتهم جميعًا ومحبتهم والحذر من بغضهم وعداوتهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [3] (المائدة: ٥٦). وقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [4] (التوبة: ٧١). فتضمنت الآية وصف المؤمنين بموالاة بعضهم لبعض فدخل في ذلك رسل الله الذين هم أكمل المؤمنين إيمانًا وعليه فإن موالاتهم ومحبتهم في قلوب المؤمنين هي أعظم من موالاة غيرهم من الخلق لعلو مكانتهم في الدين ورفعة درجاتهم في الإيمان. ولذا حذر الله من معاداة رسله وعطفها في الذكر على معاداة الله وملائكته وقرن بينهما في العقوبة والجزاء. فقال عز من قائل: ﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [5] (البقرة: ٩٨).

٣ - اعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى إذ الرسالة اصطفاء من الله يختص الله با من يشاء من خلقه ولا تنال بالاجتهاد والعمل. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ [6] (الحج: ٧٥). وقال تعالى ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ

---

(١) سورة سبأ آية : ٢٨ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٨ .
(٣) سورة المائدة آية : ٥٦ .
(٤) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٥) سورة البقرة آية : ٩٨ .
(٦) سورة الحج آية : ٧٥ .

ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾[1] (الأنعام: ٨٣). إلى أن قال بعد ذكر طائفة كبيرة من الأنبيـاء والمرسلين: ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[2] (الأنعام: ٨٦). وقد تقدم نقل هـذا السـياق في المبحث الأول من هذا الفصل.

كما دلت السنة أيضًا على أن منـزلة الرسل لا يبلغها أحد من الخلق لما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى ﴾[3] [4] وفي رواية للبخاري: ﴿ من قال أنا خـير من يونس بن متى فقد كذب ﴾[5] [6] . قال بعض شراح الحديث: " إنه ﷺ قـال هذا زجرًا أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس ﷺ مـن أجل ما في القرآن العزيز من قصته ". وبيّن العلماء: " أن ما جرى ليونس ﷺ لم يحطه من النبوة مثقال ذرة وخص يونس بالذكر لما ذكر الله من قصتـه في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[7] (الأنبيـاء: ٨٧، ٨٨). وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[8] ... الآيات (الصافات: ١٣٩-١٤٨).

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٣ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٨٦ .

(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢١٥) ، مسلم الفضائل (٢٣٧٧) ، أبو داود السنة (٤٦٦٩) ، أحمد (٣٤٢/١) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٤١٦) ، ومسلم برقم (٢٣٧٦) ، واللفظ للبخاري .

(٥) البخاري تفسير القرآن (٤٣٢٨) ، مسلم الفضائل (٢٣٧٣) ، أحمد (٤٦٨/٢) .

(٦) صحيح البخاري برقم (٤٦٠٤) .

(٧) سورة الأنبياء آية : ٨٧ ، ٨٨ .

(٨) سورة الصافات آية : ١٣٩ .

٤ - اعتقاد تفاضلهم فيما بينهم وأنم ليسوا في درجة واحدة بل فضل الله بعضهم على بعض. قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [1] (البقرة: ٢٥٣). قال الطبري في تفسير الآية: " يقول تعالى ذكره: هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعـض، فكلمت بعضهم كموسى ﷺ ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامـة ورفعة المنـزلة ". فإنـزال كل واحد منهم منـزلته في الفضـل والرفعـة بحسب دلالات النصوص من جملة حقوقهم على الأمة.

٥ - الصلاة والسلام عليهم فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر الله بإبقائـه الثناء الحسن على رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم. قال تعـالى عـن نـوح: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْأَخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [2] (الصافات: ٧٨، ٧٩). وقال عن إبراهيـم: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْأَخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝ ﴾ [3] (الصافات: ١٠٨، ١٠٩). وقال عن موسى وهـارون: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْأَخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝ ﴾ [4] (الصافـات: ١١٩، ١٢٠).

وقال تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾ [5] (الصافات: ١٨١). قال ابن كثير: " قولـه تعالى ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [6] (الصافات: ٧٩) مفسرًا لما أبقى عليه مـن الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه جميع الطوائف ". وقد نقل الإمـام النووي إجماع العلماء على جواز الصلاة على سائر الأنبياء واستحبابا.

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .
(٢) سورة الصافات آية : ٧٨ ، ٧٩ .
(٣) سورة الصافات آية : ١٠٨ ، ١٠٩ .
(٤) سورة الصافات آية : ١١٩ ، ١٢٠ .
(٥) سورة الصافات آية : ١٨١ .
(٦) سورة الصافات آية : ٧٩ .

قال: " أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد ﷺ . وكذلك أجمع من يعتد به على جوازها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالا وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم ابتداء ".

فهذه طائفة مما يجب للرسل من حقوق على هذه الأمة مما دلت عليه النصوص وقرره أهل العلم. والله تعالى أعلم.

المبحث الخامس: أولو العزم من الرسل

أولو العزم من الرسل هم: ذوو الحزم والصبر. قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرسُلِ ﴾ (1) (الأحقاف: ٣٥).

وقد اختلف العلماء فيهم. فقيل المراد بأولي العزم هم جميـع الرسـل. و" من " في قوله ﴿ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (2) لبيان الجنس لا للتبعيض. قال ابن زيـد: " كل الرسل. كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيا إلا كـان ذا عزم وحزم ورأي وكـمال عقل ".

وقيل هم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليـهم وسلم. قال ابن عباس: " أولو العزم من الرسل النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ". وبهذا القول قال مجاهد وعطـاء الخراساني، وعليه كثير من متأخري أهل العلم.

وقد ذكر الله هؤلاء الخمسة مجتمعين في موطنين من كتابه وبه اسـتدل لهذا القول. الأول في سورة الأحزاب. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ (3) (الأحزاب: ٧).

والثاني في سورة الشورى.

قال تعـالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ (4) (الشورى: ١٣). قال بعض المفسرين: " ووجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بـأن لهم مزيد شرف وفضل لكونهم من أصحاب الشرائع المشهورة ومـن أولي العزم من الرسل ".

---

(١) سورة الأحقاف آية : ٣٥ .
(٢) سورة الأحقاف آية : ٣٥ .
(٣) سورة الأحزاب آية : ٧ .
(٤) سورة الشورى آية : ١٣ .

وهؤلاء الخمسة هم أفضل الرسل وخيار بني آدم. فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: (خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم وعيسى وموسـى ومحمـد ﷺ وخيرهم محمد ﷺ وصلى الله وسلم عليهم أجمعين) [1] .

وأفضلهم محمد ﷺ على ما أخرج البخاري من حديث أبي هريـرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنـه القبر وأول شافـع وأول مشفع﴾ [2] [3] .

(١) أخرجه البزار انظر كشف الأستار (٣ / ١١٤) ، والهيثمي في المجمع (٨ / ٢٥٥) وقال : " رجاله رجال الصحيح " ، والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، المستدرك للحاكم : ٢ / ٥٤٦ .

(٢) مسلم الفضائل (٢٢٧٨) ، أحمد (٢/٥٤٠) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨) ، وأبو داود : ٥ / ٣٨ ، برقم (٤٦٧٣) .

المبحث السادس

خصائص نبينا محمد ﷺ وحقوقه على أمته

مع بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق

أولا: خصائصه ﷺ

لقد خص الله تبارك وتعالى نبينا محمدًا ﷺ بكثـير مـن الخصـائص والمناقب التي فضله بها على غيره من المرسلين وميزه عن سائر العالمين. ومـن هذه الخصائص:

١ - عموم رسالته لكافة الثقلين من الجن والإنس فلا يسع أحدًا منـهم إلا اتباعه والإيمان برسالته. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [1] (سبأ: ٢٨). وقال تعـالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [2] (الفرقان: ١). قال ابن عباس رضي الله عنهما: " العالمين: الجن والإنس ". وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ فضلت علـى الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلـت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختـم بي النبيون ﴾ [3] [4]. وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد مـن هـذه الأمـة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كـان مـن أصحاب النار ﴾ [5] [6].

---

(١) سورة سبأ آية : ٢٨ .

(٢) سورة الفرقان آية : ١ .

(٣) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٣) ، أحمد (٤١٢/٢) .

(٤) أخرجه مسلم برقم (٥٢٣) .

(٥) مسلم الإيمان (١٥٣) ، أحمد (٣٥٠/٢) .

(٦) أخرجه مسلم برقم (١٥٣) .

٢ - أنه خاتم الأنبياء والمرسلين كما دلت على ذلك النصوص. قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [(١)] (الأحزاب: ٤٠). وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿(إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين ﴾ [(٢)]) [(٣)]. ولهذه النصوص أجمعت الأمة سلفًا وخلفًا على هذه العقيدة كما أجمعت على تكفير من ادعى النبوة بعده ﷺ ووجوب قتل مدعيها إن أصر على ذلك. قال الألوسي: " وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه ويقتل إن أصر ".

٣ - أن الله أيده بأعظم معجزة وأظهر آية وهو القرآن العظيم، كلام الله المحفوظ من التغيير والتبديل، الباقي في الأمة إلى أن يأذن الله برفعه إليه. قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [(٤)] (الإسراء: ٨٨). وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [(٥)] (العنكبوت: ٥١). وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ النبي ﷺ أنه قال: ﴿ ما

(١) سورة الأحزاب آية : ٤٠ .
(٢) البخاري المناقب (٣٣٤٢) ، مسلم الفضائل (٢٢٨٦) ، أحمد (٣١٢/٢) .
(٣) صحيح البخاري برقم (٣٥٣٥) ، ومسلم برقم (٢٢٨٦) ، واللفظ للبخاري .
(٤) سورة الإسراء آية : ٨٨ .
(٥) سورة العنكبوت آية : ٥١ .

من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمـن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكـون أكثرهم تابعا يوم القيامة ﴾ [(١)] [(٢)] .

٤ - أن أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة. قال تعـالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [(٣)] (آل عمران: ١١٠).

وعن معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقـول في قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [(٤)] قال: ﴿ إنكم تتمون سبعين أمـة أنتـم خيرها وأكرمها على الله ﴾ [(٥)] [(٦)] . وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسـعود قال: ﴿ كنا مع النبي ﷺ في قبة فقال: (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنـة). قلنا: نعم. قال: (أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة). قلنـا نعم. قـال: (أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة). قلنا: نعم. قال: (والذي نفس محمـد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلـها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلـد الثـور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر) ﴾ [(٧)] [(٨)] .

---

(١) البخاري فضائل القرآن (٤٦٩٦) ، مسلم الإيمان (١٥٢) ، أحمد (٤٥١/٢) .
(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٨١) ، ومسلم برقم (١٥٢) .
(٣) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٥) الترمذي تفسير القرآن (٣٠٠١) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٨٨) ، الدارمي الرقاق (٢٧٦٠) .
(٦) أخرجه أحمد في المسند : ٤ / ٤٤٧ ، والترمذي وقال حديث حسن ، والترمذي : ٥ / ٢٢٦ ، برقم (٣٠٠١) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .
(٧) البخاري الرقاق (٦١٦٣) ، مسلم الإيمان (٢٢١) ، الترمذي صفة الجنة (٢٥٤٧) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٨٣) ، أحمد (٤٣٨/١) .
(٨) صحيح البخاري برقم (٦٥٢٨) ، ومسلم برقم (٢٢١) .

٥ - أنه سيد ولد آدم يوم القيامة. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ ﴿أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شـافع وأول مشفع﴾ [١] ([٢]) .

٦ - أنه صاحب الشفاعة العظمى وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضي بينهم ربهم بعد أن يتدافعها أفضل الرسل وهي المقام المحمود المذكـور في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ [٣] (الإسراء: ٧٩). وقـد فسر المقام المحمود بالشفاعة جمع من الصحابة والتابعين منهم حذيفة وسلمان وأنس وأبو هريرة وابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وقتـادة وغيرهم. وقال قتادة: " كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يـوم القيامة ". وقد دلت السنة كذلك على شفاعته ﷺ في أهل الموقف كما جـاء ذلك في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان مـن حديـث أبي هريرة عن النبي ﷺ ذكر اعتذار آدم ثم نوح ثم إبراهيـم ثم موسـى ثم عيسى عن قبول الشفاعة وكلهم يقول: (لست هناك) إلى أن قال: ﴿فيأتونني فأنطلق، فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له سـاجدا فـيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسـمع، وسـل تعطه، واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع﴾ [٤] ..) [٥] الحديث.

٧ - أنه صاحب لواء الحمد وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيامـة، ويكون الناس تبعا له وتحت رايته واختص به لأنه حمد الله بمحامد لم يحمـده بـا غيره. ذكر هذا

---

(١) مسلم الفضائل (٢٢٧٨) ، أحمد (٢/٥٤٠) .
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨) . وتقدم صفحة ١٠٩ .
(٣) سورة الإسراء آية : ٧٩ .
(٤) البخاري التوحيد (٦٩٧٥) ، مسلم الإيمان (١٩٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٣١٢) ، أحمد (٣/١١٦) ، الدارمي المقدمة (٥٢) .
(٥) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٠) ، ومسلم برقم (١٩٣) .

بعض أهل العلم. وقد دلت السنة على اختصاصه بهذه الفضيلة العظيمة. فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه، إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ﴾ (١) (٢) .

٨ - أنه صاحب الوسيلة، وهي درجة عالية في الجنة، لا تكون إلا لعبد واحد، وهي أعلى درجات الجنة. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿ إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة ﴾ (٣) (٤) .

إلى غير ذلك من خصائصه ومناقبه ﷺ الدالة على علو درجته عند ربه، وسمو مكانته في الدنيا والآخرة، وهي كثيرة جدا.

ثانيا: حقوق النبي ﷺ على أمته:

حقوق النبي ﷺ على أمته كثيرة وقد تقدم ذكر بعضها فيما يجب على الأمة من حقوق عامة تجاه الرسل قاطبة. وفيما يلي عرض لبعض حقوقه الخاصة على أمته، وهي:

١- الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسالات السابقة. ومقتضى ذلك: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن

---

(١) الترمذي تفسير القرآن (٣١٤٨) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٨) .

(٢) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، سنن الترمذي ٥/ ٥٨٧ برقم (٣٦١٥) ، وبنحوه الإمام أحمد في المسند : ٣/٢

(٣) مسلم الصلاة (٣٨٤) ، الترمذي المناقب (٣٦١٤) ، النسائي الأذان (٦٧٨) ، أبو داود الصلاة (٥٢٣) ، أحمد (١٦٨/٢) .

(٤) رواه مسلم برقم (٣٨٤) .

لا يعبد الله إلا بما شرع. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلۡنَاۚ ﴾ [(1)] (التغابن: ٨). وقال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾ [(2)] (الأعراف: ١٥٨). وقال عز وجـل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [(3)] (الحشر: ٧). وعن ابن عمـر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسـابهم علـى الله ﴾ [(4)] [(5)] .

٢ - وجوب الإيمان بأن الرسول ﷺ بلغ الرسـالة، وأدى الأمانـة، ونصح للأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبها فيه، وما من شـر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه. قال تعـالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [(6)] (المائدة: ٣). وعـن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: (.. ﴿ وأيم الله لقد تركتكـم على مثل البيضـاء، ليلها ونهارها سواء ﴾ [(7)] [(8)] . وقد شهد للنبي بالبلاغ أصحابه في أكبر مجمع لهـم يوم أن خطبهم في حجة الوداع خطبته البليغة فبين لهم ما

---

(١) سورة التغابن آية : ٨ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٨ .
(٣) سورة الحشر آية : ٧ .
(٤) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .
(٥) صحيح البخاري برقم (٢٥) ، ومسلم برقم (٢٢) .
(٦) سورة المائدة آية : ٣ .
(٧) ابن ماجه المقدمة (٥) .
(٨) سنن ابن ماجه (المقدمة) : ١ / ٤ ، برقم (٥) .

أوجب الله عليـهم وما حرم عليهم وأوصاهم بكتاب الله إلى أن قال لهم: ﴿ وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ﴾ [1] . قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحـت. فقـال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: ﴿ اللهم اشـهد اللـهم اشهد ثلاث مرات ﴾ [2] [3] . وقال أبو ذر ﷺ (لقد تركنا محمد ﷺ وما يحـرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما) [4] . والآثار في هذا كثيرة عـن السلف رحمهم الله.

٣ - محبته ﷺ وتقديم محبته على النفس وسائر الخلق. والمحبة وإن كـانت واجبة لعموم الأنبياء والرسل إلا أن لنبينا ﷺ مزيد اختصاص بها ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على محبة الناس كلهم من الأبنـاء والآبـاء وسـائر الأقارب بل مقدمة على محبة المرء لنفسه قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [5] (التوبة: ٢٤). فقرن الله محبة رسوله ﷺ بمحبته ﷻ وتوعد من كان مالـه وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله - توعدهم بقولـه: ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [6] . وفي الصحيحين من حديث أنس ﷺ قال: قال

---

(١) مسلم الحج (١٢١٨) ، أبو داود المناسك (١٩٠٥) ، ابن ماجه المناسك (٣٠٧٤) ، الدارمي المناسك (١٨٥٠) .

(٢) مسلم الحج (١٢١٨) ، أبو داود المناسك (١٩٠٥) ، ابن ماجه المناسك (٣٠٧٤) ، الدارمي المناسك (١٨٥٠) .

(٣) أخرجه مسلم من حديث جابر عبد الله في حجة النبي برقم (١٢١٨) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند : ٥ / ١٥٣ .

(٥) سورة التوبة آية : ٢٤ .

(٦) سورة التوبة آية : ٢٤ .

النبي ﷺ ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ﴾ [1] [2]. وعن عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ ﴿ لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ﴾ [3]. فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي ﷺ ﴿ الآن يا عمر ﴾ [4] [5].

٤ - تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وإجلاله. فإن هذا من حقوق النبي ﷺ التي أوجبها الله في كتابه. قال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [6] (الفتح: ٩). وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [7] (الأعراف: ١٥٧). قال ابن عباس: " تعزروه: تجلوه. وتوقروه: تعظموه ". وقال قتادة: " تعزروه: تنصروه. وتوقروه: أمر الله بتسويده ". وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [8] (الحجرات: ١). وقال عز وجل: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [9] (النور: ٦٣). قال مجاهد: " أمرهم أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد

---

(١) البخاري الإيمان (١٥) ، مسلم الإيمان (٤٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٣) ، ابن ماجه المقدمة (٦٧) ، أحمد (٣/٢٧٨) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤١) .

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥) ، ومسلم برقم (٤٤) .

(٣) البخاري الأيمان والنذور (٦٢٥٧) ، أحمد (٥/٢٩٣) .

(٤) البخاري الأيمان والنذور (٦٢٥٧) ، أحمد (٤/٣٣٦) .

(٥) رواه البخاري من حديث عبد الله بن هشام برقم (٦٦٣٢) .

(٦) سورة الفتح آية : ٩ .

(٧) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .

(٨) سورة الحجرات آية : ١ .

(٩) سورة النور آية : ٦٣ .

في تجـهم ". وقـد ضرب أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثال في تعظيم النبي ﷺ . قال أسامة بـن شريك: " أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنما علـى رؤوسـهم الطـير ". وتعظيم النبي ﷺ واجب بعد موته كتعظيمه في حياته. قال القاضي عيـاض: " واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسـيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته ".

٥ - والصلاة والتسليم على النبي ﷺ والإكثار من ذلك كمـا أمـر الله بذلك. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] (الأحزاب: ٥٦). قال المبرد: " أصـل الصـلاة: الترحم. فهي من الله رحمة. ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة مـن الله ". وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنـه قـال: ﴿ من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ﴾ [2] [3] . وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي ﴾ [4] [5] . والصـلاة والسلام وإن كانت مشروعة في حق الأنبياء كلهم كما تقدم فهي متـأكدة في حق نبينا ﷺ ومن أعظم حقوقه على أمته وهي واجبـة عليـهم ولـذا ذكرناها هنا من جملة حقوقه الخاصة على أمته. وقد صرح العلماء بوجـوب الصلاة على النبي ﷺ ونقل بعضهم الإجماع على ذلك. قال القاضي عياض:

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٦ .

(٢) مسلم الصلاة (٣٨٤) ، الترمذي المناقب (٣٦١٤) ، النسائي الأذان (٦٧٨) ، أبو داود الصلاة (٥٢٣) ، أحمد (١٦٨/٢) .

(٣) رواه مسلم برقم (٣٨٤) .

(٤) الترمذي الدعوات (٣٥٤٦) ، أحمد (٢٠١/١) .

(٥) رواه الترمذي ٥ / ٥٥١ رقم (٣٥٤٦) وقال حديث حسن صحيح وأحمد في المسند : ١/ ٢٠١ .

"اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة، غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمله الأئمة والعلماء على الوجوب وأجمعوا عليه".

٦ - الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص الســامية والدرجات العالية الرفيعة على ما تقدم بيان بعضها في أول هذا المبحث وغير ذلك مما دلت عليه النصوص. والتصديق بكل ذلك والثناء عليه به ونشره في الناس، وتعليمه للصغار وتنشئتهم على محبته وتعظيمه ومعرفة قدره الجليـل عند ربه عز وجل.

٧ - تجنب الغلو فيه والحذر من ذلك فإن في ذلك أعظم الأذية له ﷺ . قـال تعالى آمرًا نبيه ﷺ أن يخاطب الأمة بقوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ [(١)] (الكهف: ١١٠). وبقوله: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ ﴾ [(٢)] (الأنعام: ٥٠).

فأمر الله نبيه ﷺ أن يقرر للأمة أنه مرسل من الله ليس لـه من مقام الربوبية شيء وليس هو بـمَلَك إنما يتبع أمر ربه ووحيـه. كمـا حذر النبي ﷺ أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه. ففي صحيـح البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسـوله ﴾ [(٣)] [(٤)] . والإطراء: هو المدح بالباطل ومجاوزة الحد في المدح ذكره ابن الأثير. وعـن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فراجعه في بعـض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله ﷺ ﴿ أجعلتني لله ندا بـل ما

(١) سورة الكهف آية : ١١٠ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٥٠ .
(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، أحمد (٥٦/١) .
(٤) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥) ، وبنحوه الإمام أحمد في المسند : ١ / ٢٣ .

شاء الله وحده ﴾ [1] [2] . فحذر النبي ﷺ من الغلو فيه وإنـزاله فوق منـزلته، مما يختص بـه الرب عز وجـل. وفي هذا تنبيه إلى غير ما ذكر من أنواع الغلـو فإن الغلو في النبي ﷺ محرم بشتى صوره وأشكاله.

ومن صور الغلو في النبي ﷺ التي تصل إلى حدّ الشرك، التوجه له بالدعاء فيقول القائل: يا رسول الله افعل لي كذا وكذا. فإن هذا دعاء والدعاء عبادة لا يصح صرفها لغير الله. ومن صور الغلو فيه ﷺ الذبح له أو النـذر له أو الطواف بقبره أو استقبال قبره بصلاة أو عبادة فكل هذا محرم لأنه عبـادة وقد نهى الله عن صرف شيء من أنواع العبادة لأحد من المخلوقين فقال عـز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾ [3] (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

٨ - ومن حقوق النبي ﷺ محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجـب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم. فقال بعد أن ذكـر المـهاجرين والأنصار: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾ [4] (الحشر: ١٠). وقال تعالى في حق قرابة رسوله ﷺ وأهل بيته: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [5] (الشورى: ٢٣). جاء في

(١) ابن ماجه الكفارات (٢١١٧) ، أحمد (٢١٤/١) .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند : ١ / ٢١٤ ، وبنحوه ابن ماجه في السنن برقم (٢١١٧) .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٤) سورة الحشر آية : ١٠ .
(٥) سورة الشورى آية : ٢٣ .

تفسير الآية: " قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكـم به أجرًا إلا أن تـودوا قرابتي ". وأخرج مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم ﷺ أن رسـول الله ﷺ قام خطيبًا في الناس فقال: ﴿ أما بعد ألا أيها الناس. فإنما أنـا بشـر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب فيـه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ﴾ [1] . فحث على كتـاب الله ورغب فيه ثم قال: ﴿ وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركـم الله في أهل بيتي، أذكركـم الله في أهل بيتي ﴾ [2] [3] . فأمر النبي ﷺ بالإحسان إلى أهـل بيته وأن يعرف لهم قدرهم وحقهم، لقربم منه وشرفهم. كما أوصى النبي ﷺ بأصحابه خيرًا ونى عن سبّهم وتنقصهم فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكـم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلـغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴾ [4] [5] أخرجه الشيخان. وقد كان من أعظم أصول أهل السنة التي اجتمعت عليه كلمتهم محبة أصحاب رسـول الله ﷺ وقرابتـه وأزواجه وما كانوا يعدون الطعن فيهم إلا علامة الزيغ والضلال. قال أبو زرعة: " إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله فاعلم أنـه زنديق ". وقال الإمام أحمد: " إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا مـن أصحـاب رسول الله ﷺ (أي بسوء) فاتمه على الإسلام ".

فهذه بعض حقوق النبي ﷺ على أمته على سبيل الإيجاز والاختصـار والله تعالى الهادي لنا ولإخواننا على تأديتها والعمل با.

(١) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٨) ، أحمد (٣٦٧/٤) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٦) .
(٢) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٨) ، أحمد (٣٦٧/٤) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٦) .
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٨) .
(٤) البخاري المناقب (٣٤٧٠) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤١) ، الترمذي المناقب (٣٨٦١) ، أبو داود السنة (٤٦٥٨) ، ابن ماجه المقدمة (١٦١) ، أحمد (١١/٣) .
(٥) صحيح البخاري برقم (٣٦٧٣) ، ومسلم برقم (٢٥٤١) ، واللفظ للبخاري .

ثالثًا: بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق:

دلت السنة على إمكانية رؤية النبي ﷺ في المنام وأن من رآه في المنام فقـد رآه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ ﴿من رآني في المنام فقد رآني. فإن الشيطان لا يتمثل بي﴾ [1] [2] أخرجه مسلم. وفي لفظ آخر أخرجه الشيخان مـن حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿من رآني في المنام فسيراني في اليقظـة، ولا يتمثل الشيطان بي﴾ [3] [4] قال البخاري قـال ابـن سـيرين: " إذا رآه في صورته ". وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿من رآني في النـوم فقد رآني فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي﴾ [5] [6] رواه مسلم.

فدلت الأحاديث على صحة رؤية النبي ﷺ في المنام وأن من رآه فرؤيـاه صحيحة لأن الشيطان لا يتصور في صورة رسول الله ﷺ على أنه ينبغـي أن يتنبه إلى أن الرؤية الصحيحة لرسول الله ﷺ هو أن يُـرى علـى صورتـه الحقيقية المعروفة من صفاته، وإلا فلا تكون الرؤية صحيحة ولذا قال ابـن سـيرين: " إذا رآه في صورته " كما تقـدم النقـل عنـه مـن صحيـح البخـاري. ولذا أورد البخاري قول ابن سـيرين بعد ذكر الحديث علـى سبيل التفسير لمعنى الرؤيـة في الحديث. ويشهد لهذا ما أخرجه الحاكم مـن طريق عاصم بن كليب: حدثني أبي قال: قلت لابن عباس رأيت النبي ﷺ في

---

(١) البخاري العلم (١١٠) ، مسلم الرؤيا (٢٢٦٦) ، الترمذي الرؤيا (٢٢٨٠) ، أبو داود الأدب (٥٠٢٣) ، ابن ماجه تعبير الرؤيا (٣٩٠١) ، أحمد (٢/٢٣٢) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٦٦) .

(٣) البخاري التعبير (٦٥٩٢) ، مسلم الرؤيا (٢٢٦٦) ، الترمذي الرؤيا (٢٢٨٠) ، ابن ماجه تعبير الرؤيا (٣٩٠١) ، أحمد (٢/٢٣٢) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٩٩٣) ، ومسلم برقم (٢٢٦٦) .

(٥) مسلم الرؤيا (٢٢٦٨) .

(٦) مسلم برقم (٢٢٦٨) .

المنام. قال: صفه لي. قال: ذكرت الحسن بن علي فشبهته به. قال: إنه كـان يشبهه [1] . قال ابن حجر سنده جيد.

وعن أيوب قال: " كان محمد - يعني ابن سيرين - إذا قص عليه رجـل أنه رأى النبي ﷺ قال: صف لي الذي رأيته. فإن وصف له صفة لا يعرفـها قال: لم تره " نقله ابن حجر في الفتح وقال: سنده صحيح.

وأما قول النبي ﷺ ﴿ من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ﴾ [2] ، فللعلمـاء في تفسير الرؤية في اليقظة أقوال أشهرها ثلاثة:

الأول: أنا على التشبيه والتمثيل وقد دل على هذا ما جـاء في روايـة مسلم من حديث أبي هريرة وفيها: ﴿ فكـأنما رآني في اليقظة ﴾ [3] .

الثاني: أنا خاصة بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.

الثالث: أنا تكون يوم القيامة. فيكون لمن رآه في المنام مزيد خصوصيـة على من لم يره في المنام. هذا والله تعالى أعلم.

---

(١) المستدرك : ٤ / ٣٩٣ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) البخاري التعبير (٦٥٩٢) ، مسلم الرؤيا (٢٢٦٦) ، الترمذي الرؤيا (٢٢٨٠) ، ابن ماجه تعبير الرؤيا (٣٩٠١) ، أحمد (٢٣٢/٢) .

(٣) ابن ماجه تعبير الرؤيا (٣٩٠٤) .

المبحث السابع: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده

تقدم الحديث عن هذه المسألة مع ذكر الأدلة عليها عند الحديث عـن خصائص النبي ﷺ وأنه خاتم النبيين والحديث عن ختم الرسالة هنا هو مـن جانب آخر وهو أثر هذه العقيدة على دين المسلمين وثمرة تقريرها عليـهم. فمن ثمار هذه العقيدة:

١ - استقرار التشريع وكمال الدين لدى الأمة وأثر ذلك الكبير في حيـاة الأمة ولذا امتن الله على هذه الأمة بذلك في قوله تعـالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [1] (المـائدة: ٣).

وقد كان نـزول هذه الآية على النبي ﷺ في حجة الوداع قبل وفاته بأشـهر بعد أن أكمل الله له التشريع. ولذا كان اليهود يغبطون المسلمين على هـذه الآية على ما أخرج الشيخان أن رجلا من اليهود جاء إلى عمر رضي الله عنه فقـال: (آية في كتابكم تقرؤوها لو نـزلت علينا معشر يهود لاتخذنا ذلك اليـوم عيدا). قال وأي آية ؟ قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[2]) [3] . وقد أبرز النبي ﷺ الحقيقة في صورة محسوسة وذلك بتشبيهه الرسالات قبلـه بقصـر أكـمل وأحسن بناؤه إلا موضع لبنة، فكانت بعثته موضع تلك اللبنة ختم بـها البناء، وفي هذا تقرير ظاهر إلى أنه لم يبق مجال للزيادة في هذا الدين خاصـة ولا الرسالات عامة كما أنه لا يمكن الزيادة في ذلك القصر بعد أن اكتمل بناؤه. وقد تقدم الحديث بنصه في المبحث السابق ضمن الحديث عـن خصائص النبي صلى الله علي وسلم فليراجع في موضعه. [4] .

---

(١) سورة المائدة آية : ٣ .

(٢) سورة المائدة آية : ٣ .

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٥) ، ومسلم برقم (٣٠١٧) .

(٤) انظر ص١٧٠ .

٢ - ثقة الأمة بعدم نسخ هذا الدين وشريعة محمد ﷺ ببعثه نبيـا آخـر " ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام أنه لا تبتدأ نبوة ولا تشـرع شريعة بعد نبوته وشرعته، وأما نـزول عيسى عليه السلام وكونه متصفـا بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك، على أن عيسى عليه السلام إذا نـزل إنمـا يتعبد بشريعة نبينا ﷺ دون شريعته المتقدمة لأنها منسوخة فلا يتعبد إلا بهـذه الشريعة أصولا وفروعا ".

٣ - القطع بتكذيب كل مدع للنبوة بعده عليه الصلاة والسلام دون نظر أو تأمل، وهذا من أبرز ثمرات الإيمان بعقيدة ختم النبوة التي تحصـل بهـا العصمة للأمة من اتباع من ادعى النبوة من الدجالين الكذابين، ولهذا كـان التنبيه على هذا الأمر العظيم هو من أعظم مقاصد النبي ﷺ في تقريره اعتقاد ختم النبوة به وذلك بإخباره عن خروج كذابين ثلاثين في هذه الأمة كلـهم يدعي النبوة ثم تقريره أنه لا نبي بعده تحذيرا للأمة من تصديقهم واتباعـهم. كما جاء هذا في حديث ثوبان ﷺ في الفتن مرفوعا للنبي ﷺ وفيه: (... ﴿ وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ﴾ [(١)] [(٢)] .

٤ - ظهور فضل الأمراء والعلماء من هذه الأمة حيث جعل سياسة الأمـة في الدين والدنيا لهم بخلاف بني إسرائيل فإنهم كانت تسوسهم الأنبياء. فعـن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء تكثر). قالوا: فمـا تأمرنا ؟ قال: (فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عمـا استرعاهم) ﴾ [(٣)] [(٤)] . فكان مقام الخلفاء في

---

(١) الترمذي الفتن (٢٢١٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) .

(٢) سنن الترمذي ٤ / ٤٩٩ وقال حديث حسن صحيح ، وبنحوه أبو داود عن أبي هريرة سنن أبي داود ٤ / ٣٢٩ برقم (٤٣٣٣- ٤٣٣٤) .

(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦٨) ، مسلم الإمارة (١٨٤٢) ، أحمد (٢/٢٩٧) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٤٥٥) ، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٢) ، واللفظ له .

الأمة مقام الأنبياء في بني إسـرائيل في سياسة الناس وقيادتهم. وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سـنة مـن يجـدد لهـا دينها ﴾ [1] [2] . وواقع الأمة يشهد بهذا فلا يزال أمر الدين والدنيا محفوظا بالخلفـاء والأمراء والعلماء الذين يسوسون الناس بالشرع، ولا يزال الله تعالى يجـدد لهذه الأمة ما اندرس من معالم دينها على مر العصـور والدهـور بالأئمـة الهداة الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فدين الله بهم قائم غضا طريا على تطاول عهد البعثة وتقادم زمـن الرسالة. وذلك فضل الله على هذه الأمة عامة ومن شرفه بهذا المقام خاصة.

وعلى كل حال فعقيدة ختم النبوة وآثارها في الدين من أبرز خصـائص هذه الأمة التي أكسبتها قوة الإيمان بدينها وصدق اليقين به ورسوخ القدم في الثبات عليه، إلى أن يأتي أمر الله.

---

(١) أبو داود الملاحم (٤٢٩١) .

(٢) رواه أبو داود ٤/ ٣١٣ برقم (٤٢٩١) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، المستدرك ٤/ ٥٢٢ .

المبحث الثامن: الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدلته

تعريف الإسراء لغة وشرعا:

الإسراء في اللغة: من السرى وهو: سير الليل أو عامته. وقيل: سير الليـل كله.

ويقال: سريت، وأسريت. ومنه قول حسان:

أسـرت إليـك ولـم تكن تسـري

والإسراء إذا أطلق في الشرع يراد به: الإسـراء برسـول الله ﷺ مـن المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس بإيليا ورجوعه من ليلته.

حقيقة الإسراء وأدلته:

والإسراء آية عظيمة أيد الله بها النبي ﷺ قبل الهجرة حيث أسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكبا على البراق بصحبة جـبريل عليه السلام حتى وصل بيت المقدس، فربط البراق بحلقة باب المسـجد، ثم دخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء إماما، ثم جاءه جبريل بإناء من خمر وإنـاء من لبن فاختار اللبن على الخمر فقال له جبريل: هديت للفطرة. وقـد دل على الإسراء الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [1] (الإسراء: ١).

ومن السنة حديث أنس بن مالك الذي أخرجه مسلم في صحيحه مـن طريق ثابت البناني عن النبي ﷺ قال: ﴿ أتيت بالبراق " وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه " قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبيـاء، قـال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن. فقـال جـبريل ﷺ

(١) سورة الإسراء آية : ١ .

اختـرت الفطرة ﴾ [1] [2] . ثم ذكر بقية الحديث وعروجه إلى السـماء. وقـد دل علـى الإسراء برسول الله ﷺ عدة أحاديث منها ما جاء في الصحيحين ومنها مـا جاء في السنن وغيرها وقد رواه عن رسول الله ﷺ جمع من الصحابة نحـو الثلاثين رجلا ثم تناقلها عنهم مالا يحصي عددهم إلا الله مـن رواة السـنة وأئمة الدين.

وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين سلفا وخلفا وانعقد إجماعـهم علـى صحة الإسراء برسول الله ﷺ وأنه حق. نقل الإجماع على ذلك القـاضي عياض في (الشفاء) والسفاريني في (لوامع الأنوار). والإسراء كان بـروح النبي ﷺ وجسده، يقظة لا مناما. فهذا هو الذي دلت عليـه النصوص الصحيحة وعليه عامة الصحابة وأئمة أهل السنة والمحققين من أهل العلم.

قال ابن أبي العز الحنفي: (وكان من حديث الإسراء: أنه أسري بجسـده في اليقظة على الصحيح من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى..). وقـال القاضي عياض مقررا أن هذا هو الذي عليه عامة أهل العلم من الصحـابة فمن بعدهم: (وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر، وأنـس، وحذيفـة، وعمر، وأبي هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبي حبة البدري، وابن مسـعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شـهاب، وابـن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج، وهـو دليل قول عائشة، وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعـة عظيمـة مـن المسلمين، وقول أكثر المتـأخرين مـن الفقـهاء والمحدثـين والمتكلمـين والمفسرين).

وقال أحد المحققين الأفذاذ في نقده لقول من زعم أن الإسـراء مرتـان: (والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كـان مرة واحدة بمكـة بعـد البعثة. ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين

---

(١) البخاري بدء الخلق (٣٠٣٥) ، مسلم الإيمان (١٦٢) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (١٤٩/٣) .

(٢) صحيح مسلم برقم (١٦٢) .

ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا ثم يقول: (أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي) ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها عشرا عشرا).

المعراج وحقيقته:

الحديث عن المعراج هو قرين الحديث عن الإسراء في النصوص وكلام أهل العلم ولذا كان من المناسب التعريف به تتميما للفائدة.

والمعراج: مفعال من العروج. أي الآلة التي يعرج فيها، أي يصعد. وهو منزلة السلم لكن لا نعلم كيفيته. والمقصود بالمعراج عند الإطلاق في الشرع: هو صعود النبي ﷺ بصحبة جبريل عليه السلام من بيت المقدس إلى السماء الدنيا ثم باقي السماوات إلى السماء السابعة ورؤية الأنبياء في السماوات على منازلهم وتسليمه عليهم وترحيبهم به، ثم صعوده إلى سدرة المنتهى، ورؤيته جبريل عندها على الصورة التي خلقه الله عليها، ثم فرض الله عليه الصلوات الخمس تلك الليلة وتكليم الله له بذلك ثم نزوله إلى الأرض. وكان المعراج ليلة الإسراء على الصحيح.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على المعراج. أما الكتاب فقد جاء فيه ذكر بعض الآيات العظيمة التي حصلت للنبي ﷺ ليلة المعراج كقوله تعالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨ ﴾[1] (النجم: ١٢-١٨). فذكر الله تعالى في هذا السياق الآيات العظيمة التي أكرم بها رسوله ﷺ ليلة المعراج كرؤيته جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى، ورؤيته سدرة المنتهى وقد غشاها ما غشاها من أمر الله. قال ابن عباس ومسروق: " غشيها فراش من ذهب".

(١) سورة النجم آية : ١٢ - ١٨ .

وقد جاء في السنة خبر المعراج مفصلا في أكثر من حديث منها حديث أنس المتقدم في قصة الإسراء والذي سبق نقل ما يتعلق بالإسراء منه ثم قال النبي ﷺ ﴿ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير﴾ [1] . (ثم ذكر عروجه إلى السماوات وملاقاته الأنبياء إلى أن قال): ﴿ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، إذا ثمارها كالقلال. قال: فلما غشيها من الله ما غشيها تغيرت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. فأوحى الله إلي ما أوحى. ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ . فقال: ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتم. قال: فرجعت إلى ربي. فقلت: يا رب خفف على أمتي. فحط عني خمسا. فرجعت إلى موسى. فقلت: حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد. إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة﴾ [2] ..) [3] الحديث. أخرجه مسلم وقد جاء خبر المعراج بألفاظ متقاربة من حديث مالك بن صعصعة وأبي ذر وابن عباس في الصحيحين وغيرهما.

تنبيه:

الإسراء والمعراج من الآيات العظيمة التي أكرم الله با نبيه ﷺ والواجب على المسلم اعتقاد صحتهما وأنما منقبتان عظيمتان اختص الله بما نبينا ﷺ من بين الرسل ولا

---

(١) البخاري بدء الخلق (٣٠٣٥) ، مسلم الإيمان (١٦٢) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (١٤٩/٣) .
(٢) البخاري بدء الخلق (٣٠٣٥) ، مسلم الإيمان (١٦٢) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (١٤٩/٣) .
(٣) صحيح مسلم برقم (١٦٢) .

يشرع للمسلم الاحتفال بذكرى الإسراء والمعـراج كما لا تشرع لهما صلاة خاصة كما يفعله بعض عوام المسلمين، بل كـل ذلك بدع منكرة لم يشرعها النبي ﷺ ولم يفعلها أحد من السلف ولم يقـل بها أحد ممن يقتدي به في العلم.

وقد بين العلماء من أهل السنة أن صلاة ليلة سبع وعشرين من شـهر رجب وأمثالها: (من البدع التي أحدثت في دين الله، وأنه عمل غير مشروع باتفاق أئمة الإسلام ولا ينشئ مثل هذا إلا جاهل مبتدع). وقد قال ﷺ ﴿من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد﴾ [1] [2] أي مردود عليه.

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٧٠) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٧) .

المبحث التاسع: القول في حياة الأنبياء عليهم السلام

دلت الأدلة على موت الأنبياء إلا ما وردت النصوص باستثنائه كعيسـى عليه السلام فإنه لم يمت بعد وإنما رفـع إلى الله تعالى حيا على مـا سـيأتي بيانه.

فمن الأدلة على موت الأنبياء قوله تعـالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ [(1)] (البقرة: ١٣٣). وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ ﴾ [(2)] (غافر: ٣٤). وقال تعالى عن سليمان عليه السـلام: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ ﴾ [(3)] (سبـأ: ١٤). وقال تعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [(4)] (الزمر: ٣٠). قال بعض المفسرين نعيت للنبي ﷺ نفسه ونعيت إليهم أنفسـهم ففي الآية الإعلام للصحابة بأنه يموت. وقال تعالى مخبرا عن موت كل نفس مخلوقة: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾ [(5)] (آل عمران: ١٨٥).

فدلت هذه الآيات على موت الأنبياء وأنم يموتون كما يموت بقية البشر إلا ما أخبر به الله ﷻ عن عيسى عليه السلام من رفعه إليه كما قـال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [(6)] (آل عمران: 55). فدلت الآية على رفع الله تعـالى لعيسـى بجسده وروحه إلى السماء وأنه لم يمت، وأما الوفاة

---

(١) سورة البقرة آية : ١٣٣ .
(٢) سورة غافر آية : ٣٤ .
(٣) سورة سبأ آية : ١٤ .
(٤) سورة الزمر آية : ٣٠ .
(٥) سورة آل عمران آية : ١٨٥ .
(٦) سورة آل عمران آية : ٥٥ .

المذكورة في الآية في قوله تعالى ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ [1] فقد جاء في تفسير الآية أن: " توفيه هو رفعه إليه ". وإلى ذلك ذهب ابن جرير الطبري. وأكثر المفسرين على أن الوفاة المذكورة هي النوم، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [2] (الزمر: ٤٢).

فتقرر بهذا أن عيسى حي الآن في السماء لم يمت، وقد أخبر الله عن موته قبل قيام الساعة. قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [3] (النساء: ١٥٩). والموت المذكور هنا هو موت عيسى عليه السلام في آخر الزمان بعد أن ينزل من السماء فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة في نزول عيسى في آخر الزمان وقد جاءت تلك الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

وممن قيل إنه لم يمت من الأنبياء إدريس عليه السلام، فقد ذكر بعض أهل العلم أنه لم يمت وإنما رفعه الله كما رفع عيسى عليه السلام واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [4] (مريم: ٥٦، ٥٧).

فعن مجاهد قال: إدريس رفع فلم يمت كما رفع عيسى. وعن ابن عباس قال: رفع إلى السماء فمات بها. وقال آخرون: رفع إلى السماء الرابعة والعلم في ذلك عند الله تعالى. وإنما القصد حصول الخلاف بين أهل العلم في موت إدريس من عدمه، هذا مع القطع بأنه إن لم يمت فلا بد أن يموت لعموم قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾ [5] .

(١) سورة آل عمران آية : ٥٥ .
(٢) سورة الزمر آية : ٤٢ .
(٣) سورة النساء آية : ١٥٩ .
(٤) سورة مريم آية : ٥٦ ، ٥٧ .
(٥) سورة آل عمران آية : ١٨٥ .

وأما ما عدا عيسى وإدريس عليهما السلام من الرسل فلم يقل أحد من أهل العلم المعتد بقولهم في الأمة بحياة أحد منهم لما تقدم مـن النصـوص وللواقـع المشاهد من موتهم. لكن جاء في بعض النصوص ما أشكل فهمه على البعض في هذا الباب مثل ما جاء عن النبي ﷺ في أحاديث المعراج مـن رؤيته لبعض الرسل في السماء وتكليمه لهم على ما جاء في حديث أنس الذي أخرجه الشيخان وفيه: ﴿ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت ؟ قال جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليـه.. قال: قد بعث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنـت ؟ قـال جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه. قال: قد بعـث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلـوات الله عليهما. فرحبا بي ودعوا لي بخير﴾ [1] [2] إلى آخر الحديث وقد ذكر فيه رؤيا يوسف في السماء الثالثة وإذا هو أعطي شطر الحسن ورؤيـاه إدريـس في السماء الرابعة وهارون في السماء الخامسة وموسى في السـماء السادسـة ورؤيته إبراهيم في السماء السابعة مسندا ظهره إلى البيت المعمـور وأنـهم كلهم رحبوا به ودعوا له بخير.

ومثل ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين عـن النبي ﷺ أنه قال: ﴿رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا كأنه مـن رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربـوع الخلـق إلى الحمـرة والبياض سبط الرأس﴾ [3] (... [4] الحديث.

---

(١) البخاري بدء الخلق (٣٠٣٥) ، مسلم الإيمان (١٦٢) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (١٤٩/٣) .
(٢) صحيح البخاري برقم (٣٥٧٠) ، ومسلم برقم (١٦٢) .
(٣) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٧) ، مسلم الإيمان (١٦٥) ، أحمد (٣٠٩/١) .
(٤) صحيح البخاري برقم (٣٢٣٩) ، ومسلم برقم (١٦٥) .

ففهم بعض الناس من هذه النصوص ومن غيرها مما يماثلها عدم مـوت الأنبياء فاستدلوا بها على ما اعتقدوه من حياة الأنبياء. والحق أن الأنبيـاء ماتوا إلا ما وردت به النصوص في حق عيسى عليه السلام وما اختلف فيـه من أمر إدريس عليه السلام. وأما من عداهما فقد دلت النصوص علـى موتهم قطعا ولا شك في ذلك. وقد سبق نقل الأدلة عليه. وأما ما جـاء في الأحاديث من إخبار الرسول ﷺ عن رؤية الرسل ليلة المعراج وما جاء في معناه من النصوص الأخرى فحق ولا تعارض بين النصوص في ذلك. وذلك أن الذي رآه الرسول ﷺ هي أرواح الرسل مصورة في صور أبدانهم، وأمـا أجسادهم فهي في الأرض إلا من جاءت النصوص برفعهم، وهذا هو الـذي عليه الأئمة المحققون من أهل السنة.

قال أحد الأئمة الراسخين في تحقيق هذه المسألة: (وأما رؤيته غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السماء لما رأى آدم في السماء الدنيـا، ورأى يحـيى وعيسى في السماء الثانية، ويوسف في الثالثة وإدريس في الرابعة، وهـارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، أو بالعكس، فـهذا رأي أرواحهم مصورة في صور أبدانهم. قد قال بعض النـاس: لعلـه رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور، وهذا ليس بشيء. لكن عيسى صعـد إلى السماء بروحه وجسده، وكذلك قيل في إدريس. وأما إبراهيم وموسـى، وغيرهما فهم مدفونون في الأرض).

وعلى أنه ينبغي أن يقرر هنا أن الله تعالى كما أكرم رسله برفع أرواحهم إلى السماء فهي تنعم على ما شاء الله فإنه حفـظ أجسـادهم في الأرض، وحرم على الأرض أن تأكل أجسادهم على ما ثبت ذلك من حديـث أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿إن من أفضل أيامكـم يوم الجمعـة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن

صلاتكم معروضة علي ﴾[1] . فقـالوا: يـا رسول الله. وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ قال: يقول: بليـت. قال: ﴿ إن الله ﷻ حرم على الأرض أجساد الأنبياء ﴾[2] [3] .

وبذا يتبين الحق في هذه المسألة المهمة وما يجـب على المسلم اعتقاده فيها والله تعالى أعلم.

---

(١) النسائي الجمعة (١٣٧٤) ، أبو داود الصلاة (١٥٣١) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٦٣٦) ، أحمد (٨/٤) ، الدارمي الصلاة (١٥٧٢) .

(٢) النسائي الجمعة (١٣٧٤) ، أبو داود الصلاة (١٠٤٧) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٦٣٦) ، أحمد (٨/٤) ، الدارمي الصلاة (١٥٧٢) .

(٣) رواه أحمد في المسند : ٤ / ٨ وأبو داود في السنن ١ / ٤٤٣ برقم (١٠٤٧) والدارمي في السنن ١ / ٣٠٧ برقم (١٥٨٠) ، وقال الإمام النووي إسناده صحيح .

المبحث العاشر: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء

التعريف بالمعجزة:

المعجزة: مأخوذة من العجز. وهو عدم القدرة.

جاء في القاموس: ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحـدي والهاء للمبالغة.

والمعجزة في الاصطلاح: أمر خارق للعادة يجري على أيـديَ الأنبيـاء للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة.

فقولنا: خارق للعادة: أخرج ما ليس بخارق للعادة مثل ما يصدر من الأنبياء من الأفعال والأحوال الطبيعية فهي ليست بمعجزات. وقولنا: يجـري على أيدي الأنبياء: أخرج الأمور الخارقة التي تجري على أيدي الأوليـاء فهي ليست بمعجزات وإنما هي كرامات، لمتابعتهم للأنبياء ويخرج من بـاب أولى ما يأتي به السحرة والكهان من الشعبذة فهذه لا تصدر إلا من شرار الخلق. وقولنا للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة: أخرج ما يدعيـه المتنبئون الكذابون من الأمور الخارقة وكذلك السحرة فإنها لا تسلم مـن المعارضة بل يعارضها أمثالهم من السحرة لأنها من قبيل السحر والشعبذة.

أمثلة لبعض معجزات الأنبياء:

ومعجزات الأنبياء كثيرة:

فمن معجزات صالح عليه السلام أن قومه طلبوا منه أن يخرج لهم من صخرة عينوها له ناقة ثم حددوا صفات الناقة فدعا ربه بذلك فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة على الوجه الذي طلبـوا [1] . يقول الله تعالى في ذلك: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٣٦) .

نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [1] (الأعراف: ٧٣).

ومن معجزات إبراهيم عليه السلام جعل الله النار التي أشعلها قومه لتعذيبه وإهلاكه ثم ألقوه فيها بردا وسلاما عليه. قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [2] (الأنبياء: ٦٨- ٧٠).

ومن معجزات موسى عليه السلام العصا التي كانت تتحول إلى حية عظيمة إذا ألقاها إلى الأرض. قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [3] (طه: ١٧- ٢١).
ومن معجزات موسى أيضا أنه كان يدخل يده في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تتلألأ كالقمر من غير سوء. قال تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4] (طه: ٢٢).

ومن معجزات عيسى عليه السلام أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتكون طيورا بإذن الله، ويمسح الأكمه -وهو الأعمى- والأبرص فيبرآن بإذن الله، وينادي الموتى في قبورهم فيجيبون بإذن الله. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ

---

(١) سورة الأعراف آية : ٧٣ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٦٨ ، ٧٠ .
(٣) سورة طه آية : ١٧ - ٢١ .
(٤) سورة طه آية : ٢٢ .

بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ﴾ [1] (المائدة: ١١٠).

ومن معجزات نبينا ﷺ القرآن العظيم وهو أعظم معجزات الرسل على الإطلاق. قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] (البقرة: ٢٣). وقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [3] (الإسراء: ٨٨). ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر عندما سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر شقين فرآه أهل مكة ورآه غيرهم. قال تعالى ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ [4] (القمر: ١، ٢). ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإسراء والمعراج. قال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [5] (الإسراء: ١).

ومعجزات الرسل كثيرة خصوصا معجزات نبينا محمد ﷺ فإن الله أيده بكثير من الآيات والبراهين التي لم تجتمع لنبي قبله وما سقته هنا إنما هو للتمثيل فقط.

التعريف بالكرامة:

الكرامة: أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح.

فقولنا: أمر خارق للعادة: أخرج ما كان على وفق العادة من أعمال.

---

(١) سورة المائدة آية : ١١٠ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٣ .
(٣) سورة الإسراء آية : ٨٨ .
(٤) سورة القمر آية : ١ ، ٢ .
(٥) سورة الإسراء آية : ١ .

وغير مقرون بدعوى النبوة: أخرج معجزات الأنبياء.

ولا هو مقدمة لها: أخرج الإرهاص وهو كل خارق تقَدم النبوة.

ويظهر على يد عبد ظاهر الصلاح..: أخرج ما يجري علـى أيـدي السحرة والكهان فهو سحر وشعبذة.

وكرامات الأولياء كثيرة منها ما ثبت في حق بعض الصالحين من الأمـم الماضية.

ومن ذلك ما أخبر الله به عن مريم عليها السلام. قـال تعـالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (1) (آل عمران: ٣٧).

ومنها: ما أخبر الله به عن أهل الكهف على ما قص الله ذلك في كتابه.

ومن كرامات الأولياء من هذه الأمة ما ثبت في حق أسيد بن حضير ﷺ أنه كان يقرأ سورة الكهف فـ ل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نـزلت لقراءته. وكانت الملائكة تسلم على عمـران بـن حصين رضي الله عنه. وكـان سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما يأكلان في صحفـة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها. وخبيب بن عدي ﷺ كان أسيرا عنـد المشركين بمكة شرفها الله تعالى وكـان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكـة عنبـة.

ومر العلاء الحضرمي ﷺ بجيشه فوق البحر على خيولهم فما ابتلت سـروج خيولهم. ووقـع أبو مسلم الخولاني رحمه الله في أسر الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله ؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمـدا رسول الله ؟ قال: نعم. فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه يصلـي فيـها وقـد صارت بردا وسلاما، وغير ذلك كثير مما هو منقـول في كتـب السـير والتاريخ.

الفرق بين المعجزة والكرامة:

---

(1) سورة آل عمران آية : ٣٧ .

الفرق بين المعجزة والكرامة: أن المعجزة تكـون مقرونة بدعوى النبـوة. بخلاف الكرامة فإن صاحبها لا يدعي النبوة وإنما حصلت له الكرامة باتباعَ النبي والاستقامة على شرعه. فالمعجزة للنبي والكرامة للولي. وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

وذهب بعض الأئمة من العلماء: إلى أن كرامات الأولياء في الحقيقـة تدخل في معجزات الأنبياء لأن الكرامات إنما حصلـت للـولي باتبـاع الرسول، فكل كرامة لولي هي من معجزات رسوله الذي يعبد الله بشرعه.

ومن هذا يتبين أن إطلاق المعجزة على خوارق الأنبياء والكرامة علـى خوارق الأولياء معنيان اصطلاحيان ليسا موجودين في الكتاب والسنة وإنمـا اصطلح عليهما العلماء فيما بعد وإن كانا في مدلولهما يرجعان إلى ما تقـرر في النصوص من الحق.

حكم الإيمان بالمعجزات والكرامات:

الإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء أصل من أصول الإيمان دلـت عليه نصوص الكتاب والسنة والواقع المشاهد فيجب على المسلم اعتقاد صحة ذلك وأنه حق. وإلا فالتكذيب بذلك أو إنكـار شـيء منـه رد للنصوص ومصادمة للواقع وانحراف كبير عما كان عليه أئمة الدين وعلمـاء المسلمين في هذا الباب. والله تعالى أعلم.

المبحث الحادي عشر: الولي والولاية في الإسلام

تعريف الولي والولاية:

الولاية: ضد العداوة. وأصل الولاية: المحبة والقَرب. وأصل العـداوة: البغض والبعد.

والولاية في الاصطلاح: هي القرب من الله بطاعته.

والولي في الشرع: هو من اجتمع فيه وصفان: الإيمان والتقـوى. قـال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [1] (يونس: ٦٢، ٦٣).

تفاضل الأولياء:

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون فبحسب إيمان العبـد وتقـواه تكـون ولايته لله تعالى فمن كان أكمل إيمانا وتقوى كان أكمل ولايـة لله. فالناس يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى.

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضـل المرسلين أولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وأفضل أولي العزم محمد ﷺ - على ما تقدم ذلك في موضعه - ثم إبراهيم عليه السـلام. ثم اختلف الناس في المفاضلة بين الثلاثة الباقين.

أقسام أولياء الله:

وأولياء الله على قسمين:

القسـم الأول: سابقون مقربون.

القسم الثاني: أصحاب يمين مقتصدون.

وقد ذكرهم الله تعالى في عدة مواضع من كتابه. قال تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾

---

(١) سورة يونس آية : ٦٢ ، ٦٣ .

فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ﴾ [1] (الواقعة: ١- ١٢).

فذكر ثلاثة أصناف. صنفا في النار وهم أصحاب الشمال وصنفين في الجنة وهما: أصحاب يمين وسابقون مقربون. وقد ذكرهما أيضا في آخر هذه السورة وهي سورة الواقعة فقال: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ ﴾ [2] (الواقعة: ٨٨- ٩١). وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء المشهور وهو حديث قدسي يرويه النبي ﷺ عن ربه وقد أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذيَ يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه » [3] [4] . فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه تعالى بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات. وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه تعالى بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات فلما تقربوا إلى الله بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتم أحبهم

(١) سورة الواقعة آية : ١ - ١٢ .
(٢) سورة الواقعة آية : ٨٨ - ٩١ .
(٣) البخاري الرقاق (٦١٣٧) .
(٤) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٢) .

الرب حبا تاما وعصمهم من الذنوب واستجاب دعـاءهم كما قال تعالى: ﴿ولا يزال عبديَ يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبـه﴾ [1] ..) إلى آخر ما ذكر في الحديث.

(١) البخاري الرقاق (٦١٣٧) .

لا يختص أولياء الله بلباس ولا هيئة:

وأولياء الله لا يتميزون عن غيرهم من الناس في الظاهر بلباس ولا بيئـة على ما هو مقرر عند أهل العلم والتحقيق من أهل السنة.

قال بعض الأئمة المصنفين في الأولياء: (وليس لأولياء الله شيء يتمـيزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لبـاس إذا كان مباحا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ضفره إذا كان مباحا. كمـا قيل كـم من صديق في قباء، وكـم من زنديق في عباء، بل يوجدون في جميـع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظـاهرة والفجـور، فيوجدون في أهل القرآن، وأهل العلم، يوجدون في أهل الجهاد والسـيف، ويوجدون في التجارة والصناع والزراع).

بطلان ما قد يعتقد فيهم من الغلو:

وأولياء الله ليسوا معصومين ولا يعلمون الغيب وليس لهم قـدرة علـى التصرف في الخلق والرزق ولا يدعون الناس إلى تعظيمهم أو صرف شـيء من الأموال والعطايا لهم ومن فعل ذلك فليس بولي لله بل كذاب أفـاك ولي للشيطان. والله تعالى أعلم.

الفصل الرابع:

الإيمان باليوم الآخر

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أشراط الساعة وأنواعها.

المبحث الثاني: نعيم القبر وعذابه. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك.

المطلب الثاني: وقوعه على الروح والجسد معا.

المطلب الثالث: الإيمان بالملكين منكر ونكير.

المبحث الثالث: الإيمان بالبعث. وفيه مطالب:

المطلب الأول: معنى البعث وحقيقته.

المطلب الثاني: أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر.

المطلب الثالث: الحوض صفته وأدلته.

المطلب الرابع: الميزان صفته وأدلته.

المطلب الخامس: الشفاعة تعريفها وأنواعها وأدلتها.

المطلب السادس: الصراط صفته وأدلته.

المطلب السابع: الجنة والنار صفتهما وكيفية الإيمان بهما وأدلة ذلك.

المبحث الأول

أشراط الساعة وأنواعها

تعريف أشراط الساعة:

الأشراط: جمع شرط وهو: العلامة. وقيل أشراط الشيء: أوائله.

جاء في لسان العرب: والاشتقاقان متقاربان لأن علامة الشيء أوله.

والساعة: جزء من أجزاء الزمن، ويعبر به عن القيامـة. قـال تعـالى: ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [1] (الزخرف: ٨٥). والساعة من أشهر أسماء يوم القيامة في النصوص الشرعية وكلام الناس، وسمي ذلك اليوم بالساعة: لأنه يأتي بغتـة فيفاجأ الناس في ساعة.

وأشـراط السـاعـة: علاماتا وأماراتا التي تقع قبل قيامـها. قـال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ ﴾ [2] (محمد: ١٨).

أقسام أشراط الساعة:

أشراط الساعة وأماراتا تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأمارات البعيدة: وهي التي ظهرت وانقضت.

منها بعثة الرسول ﷺ على ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بـن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « بعثت أنا والساعة كهاتين. وضم السـبابة والوسطى » [3] [4].

(١) سورة الزخرف آية : ٨٥ .

(٢) سورة محمد آية : ١٨ .

(٣) البخاري الرقاق (٦١٣٩) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥١) ، الترمذي الفتن (٢٢١٤) ، أحمد (٣/ ٢٣٧) ، الدارمي الرقاق (٢٧٥٩) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥١) .

ومنها انشقاق القمر على ما أخبر الله في كتابه، قال تعـالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾ [1] (القمر: ١).

ومنها خروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى علـى ما أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قـال: ﴿ لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجـاز تضـيء أعنـاق الإبـل ببصرى ﴾ [2] [3] . وقد خرجـت هذه النار على ما أخبر النبي ﷺ في مسـتهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وكان خروجها من شرقي المدينة النبوية وسالت بسببها أودية من نار وارتاع الناس منها ورأى ضوءها أهـل الشام ورأى أهل بصرى - وهي إحدى قرى دمشق-، أعنـاق الإبـل في ضوئها كـما أخبر النبي ﷺ .

القسم الثاني: الأمارات المتوسطة: وهي التي ظهرت ولم تنقض بـل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جدا.

منها أن تلد الأمة ربتها [4] وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان على ما جاء في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه مسلم وقـد تقـدم في الفصل الأول من هذا الباب وفيه: ﴿ قال فأخبرني عن الساعة ؟ قـال: مـا المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلـد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالـة رعـاء الشاء يتطـاولون في البنيان ﴾ [5] [1] .

---

(١) سورة القمر آية : ١ .

(٢) البخاري الفتن (٦٧٠١) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٢) .

(٣) صحيح البخاري برقم (٧١١٨) ، وصحيح مسلم برقم (٢٩٠٢) .

(٤) أن تلد الأمة ربتها ، الأمة المرأة المملوكة ، وولدها من سيدها بمنزلة سيدها ، لأن مال الإنسان صائر لولده .

(٥) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٢٧/١) .

ومنها خروج دجالين ثلاثين يدعون النبوة كما جـاء في حديـث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا تقوم الساعة حتى يبعـث دجـالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ﴾ [2] [3]. وفي سـنن أبي داود والترمذي من حديث ثوبان عن النبي ﷺ ﴿ وإنه سيكون في أمتي ثلاثـون كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ﴾ [4] [5].

ومنها انحسار الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه على ما جـاء في حديـث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تقوم الساعة حتى يحسـر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائـة تسـعة تسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو ﴾ [6] [7] وهذه العلامة لم تقع بعد.

القسم الثالث: العلامات الكبرى: وهي الـتي تعقبـها السـاعة إذا ظهرت. وهي عشر علامات ولم يظهر منها شيء. روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد قال: ﴿ اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنا لن تقوم حتى تروا قبلها عشـر آيات: فذكر الدخان والدجال، والدابة، وطلوع الشمس مـن مغربـا، ونـزول عيسى ابن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج، وثلاثة

---

(1) صحيح مسلم برقم (8) .
(2) البخاري المناقب (3413) .
(3) رواه البخاري برقم (3609) .
(4) الترمذي الفتن (2219) ، أبو داود الفتن والملاحم (4252) .
(5) سنن أبي داود برقم (4252) ، وسنن الترمذي برقم (2219 ، وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح " .
(6) البخاري الفتن (6702) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2894) ، الترمذي صفة الجنة (2569) ، أبو داود الملاحم (4313) ، ابن ماجه الفتن (4046) ، أحمد (332/2) .
(7) رواه مسلم في الصحيح برقم (2894) ، وبنحوه البخاري برقم (7119) وأحمد في المسند 2 / 261 .

خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم ﴾ [1] [2] . وجاء في بعض الأحاديث الأخرى ذكر المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض على ما سيأتي ذكر الأحاديث في ذلك.

والذي عليه أكثر المحققين من أهل العلم أن العلامات العشر العظمى هي هذه الثلاث وما ذكر في حديث حذيفة بن أسيد سوى الخسوف فإنها وإن كانت من علامات الساعة بلا شك كما هو نص الحديث إلا أنها تقع قبل العشر العظمى، وهي مقدمة لها، ويشهد لهذا ما جاء في رواية أخرى من حديث حذيفة بن أسيد وقد خرجها مسلم أيضا وفيها تقديم الخسوف في الذكر على غيرها من العلامات حيث قال ﷺ ﴿ إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ﴾ [3] ..) [4] ثم ذكر بقية العلامات. قال القرطبي: (فأول الآيات على ما في هذه الرواية الخسوفات الثلاثة وقد وقع بعضها في زمن النبي ﷺ ذكره ابن وهب...). وفيما يلي عرض لهذه العلامات العشر مفصلة بأدلتها:

العلامة الأولى: خروج المهدي: وهو رجل من أهل البيت من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما يخرج وقد ملئت الأرض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا يوافق اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أب النبي ﷺ على ما روى أبو داود والترمذي من

---

(1) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) ، الترمذي الفتن (٢١٨٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣١١) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٥٥) ، أحمد (٤/ ٧) .

(2) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١) .

(3) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) ، الترمذي الفتن (٢١٨٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣١١) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٥٥) ، أحمد (٤/ ٧) .

(4) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١) .

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيـتي يواطئ اسمه اسمي واسـم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض عدلا وقسطا كـما ملئـت جورا وظلما﴾ [1] [2] .

العلامة الثانية: ظهور المسيح الدجال: وهو رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان فيفتن به كثير من الخلق، يجري الله على يديه بعض الأعمـال الخارقة، ويدعي الربوبية ولا يروج باطله على المؤمن ويدخل الأمصار كلها إلا مكة والمدينة، ومعه نار وجنة فناره جنة وجنته نار. وقد دلت الأحاديث الصحيحة على خروجه، منها حديث عبد الله بن عمرو بن العـاص الـذي أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿يخرج الدجال في أمـتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه﴾ [3] ...) [4] الحديث. وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فـأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: ﴿إني أنذركموه وما من نبي إلا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور﴾ [5] [6] .

العلامة الثالثة: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السـماء إلى الأرض حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنـزير ويقضي على الدجـال كما دلت على ذلك

---

(١) الترمذي الفتن (٢٢٣٠) ، أبو داود المهدي (٤٢٨٢) .

(٢) سنن أبي داود ٤ / ٣٠٦ برقم (٤٢٨٢) ، واللفظ له ، وسنن الترمذي ٤ / ٥٠٥ برقم (٢٢٣٠) ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

(٣) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٠) ، أحمد (١٦٦/٢) .

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٩٤٠) .

(٥) البخاري الجهاد والسير (٢٨٩٢) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٣١) .

(٦) صحيح البخاري برقم (٣٠٥٧) ، وصحيح مسلم برقم (١٦٩) ، واللفظ للبخاري .

النصوص من الكتاب والسنة. أما الكتاب فيقـول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [(1)] (الزخرف: ٦١)، وقد استدل بهذه الآية علـى نـزول عيسى كثير من المفسرين وينقل هذا عن ابن عباس على ما أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قـال: ﴿ هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة ﴾ [(2)] [(3)] .

كما دلت على نـزول عيسى عليه السلام الأحاديث الصحيحة: ففي الصحيحـين مـن حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ والـذي نفسـي بيـده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنـزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحـد، حتى تكـون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ﴾ [(4)] [(5)] .

العلامة الرابعة: خروج يأجوج ومأجوج: وهم خلق كثير لا يدين لأحد بقتالهم قيل إنم من ولد يافث من ولد نوح عليه السلام وقـد دل علـى خروجهم الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [(6)] (الأنبياء: ٩٦، ٩٧).

وأخرج الشيخان عن زينب بنـت جحش رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها

---

(١) سورة الزخرف آية : ٦١ .

(٢) أحمد (٣١٨/١) .

(٣) المسند : ١ / ٣١٨ .

(٤) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦٤) ، مسلم الإيمان (١٥٥) ، الترمذي الفتن (٢٢٣٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣٢٤) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٧٨) ، أحمد (٤٨٣/٢) .

(٥) صحيح البخاري برقم (٢٢٢٢) ، وصحيح مسلم برقم (١٥٥) ، واللفظ لمسلم .

(٦) سورة الأنبياء آية : ٩٦ ، ٩٧ .

يوما فزعا يقـول: ﴿ لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " وحلق بأصبعه الإبام والتي تليها ﴾ [1] .. ") [2] الحديث.

العلامة الخامسة: هدم الكعبة وسلب حليها على يد ذي السويقتين مـن الحبشة كما صحت بذلك السنة. فقد أخرج الشيخان مـن حديـث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشـة ﴾ [3] [4] . وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسـول الله ﷺ يقول: ﴿ يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليها ويجردها من كسوتا، ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله ﴾ [5] [6] .

العلامة السادسة: الدخان: وهو انبعاث دخان عظيم من السماء يغشى الناس ويعمهم، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة. قال تعـالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝ ﴾ [7] (الدخان: ١٠، ١١). ومن السنة

---

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٦٨) ، مسلم الفتن؛ وأشراط الساعة (٢٨٨٠) ، الترمذي الفتن (٢١٨٧) ، ابن ماجه الفتن(٣٩٥٣) أحمد (٤٢٩/٦) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٦) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٨٠) .

(٣) البخاري الحج (١٥١٤) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٩) ، النسائي مناسك الحج (٢٩٠٤) ، أحمد (٢/ ٢٢٠) .

(٤) صحيح البخاري برقم (١٥٩١) ، وصحيح مسلم برقم (٢٩٠٩) .

(٥) البخاري الحج (١٥١٤) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٩) ، النسائي مناسك الحج (٢٩٠٤) ، أحمد (٢/ ٢٢٠) .

(٦) المسند : ٢ / ٢٢٠ .

(٧) سورة الدخان آية : ١٠ ، ١١ .

حديث حذيفة بن أسيد المتقدم عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إنا لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخـان والدجـال والدابة ﴾ [1] [2] الحديث.

العلامة السابعة: رفع القرآن من الأرض إلى السماء فلا يبقى منه آيـة في سطر ولا صدر إلا رفعت. وقد دلت على ذلك السنة فقد أخرج ابـن ماجه والحاكم من حديث حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ يدرس الإسـلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صـلاة ولا نسـك، وليسرى على كتاب الله ﷻ في ليلة فلا يبقى في الأرض منـه آيـة ﴾ [3] (...) [4].

العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربها. وقد دلت على هذه الآية النصوص من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ ﴾ [5] (الأنعام: ١٥٨). فقد ذهب جمع من المفسرين إلى أن بعض آيات ربك، هي طلوع الشمس من مغربها. قال الطبري بعد ذكره أقوال المفسرين في الآية: (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسـول الله ﷺ أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها) [6] وروى الشيخان من حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من

---

(١) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) ، الترمذي الفتن (٢١٨٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣١١) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٥٥) ، أحمد (٤/٧) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١) .

(٣) ابن ماجه الفتن (٤٠٤٩) .

(٤) سنن ابن ماجه ٢ / ١٣٤٤ ، برقم (٤٠٤٩) ، والمستدرك للحاكم ٤ / ٤٧٣ وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٨ .

(٦) تفسير ابن جرير ج٨ / ٩٧ .

مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا ﴾ [1] [2] .

العلامة التاسعة: خروج الدابة: وهي مخلوق عظيم قيل إن طولها ستون ذراعًا ذات قوائم ووبر، وقيل هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات وقد دل الكتاب والسنة على خروجها قبل قيام الساعة. قال تعـالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [3] (النمل: ٨٢). وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت مـن قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابـة الأرض) [4] . وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يغمرون فيكم حتى يشـتري الرجل البعير فيقول ممن اشتريته فيقول: من أحد المخطمين ﴾ [5] [6] وقد صحـح سند الحديث الهيثمي وغيره من المحدثين.

العلامة العاشرة: خروج نار عظيمة تخرج من عدن تحشر النـاس إلى محشرهم وهي آخر العلامات العظام. وقد دلت على هذه العلامة السـنة كـما جاء في حديث حذيفة بن أسيد المتقدم والذي أخرجه مسلم وفيـه: ﴿ وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد

(١) البخاري الرقاق (٦١٤١) ، مسلم الإيمان (١٥٧) .
(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٣٦) ، وصحيح مسلم برقم (١٥٧) .
(٣) سورة النمل آية : ٨٢ .
(٤) صحيح مسلم برقم (١٥٨) .
(٥) أحمد (٥/٢٦٨) .
(٦) المسند : ٥ / ٢٦٨ .

الناس إلى محشرهم ﴾ [1] [2] . وفي رواية مـن حديث حذيفة ﴿ ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس ﴾ [3] .

فهذه الأمارات أعظم أشراط الساعة التي تقع قبل قيامها فإذا انقضـت قامـت الساعة بإذن الله تعالى وقد ورد أن هذه الأمارات متتابعـة كتتـابع الخرز في النظام فإذا ظهرت إحداها تبعتها الأخرى. روى الطـبراني في الأوسط عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ خروج الآيات بعضها علـى إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام ﴾ [4] .

---

(١) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) ، الترمذي الفتن (٢١٨٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣١١) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٥٥) ، أحمد (٤/٧) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١) .

(٣) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) ، الترمذي الفتن (٢١٨٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣١١) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٥٥) ، أحمد (٤/٧) .

(٤) المعجم الوسيط : ٥/ ١٤٨ ، برقم (٤٢٨٣) .

المبحث الثاني
نعيم القبر وعذابه

وبحث هذا الموضوع يتم من خلال ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك

الإيمان بنعيـم القبر لأهل الطاعة وبعذاب القبر لمن كان مستحقا له مـن أهل المعصية والفجور من أصول الإيمان التي دلت عليهـا نصوص الكـتـاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب على نعيم القبر قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [(1)] (إبراهيم: ٢٧)، فدلت الآية علـى تثبيت الله تعالى للمؤمنين عند السؤال في القبر وما يتبع ذلك من النعيـم. أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمـدا رسول الله فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [(2)] » [(3)]. ودليل عذاب القبر من القرآن قول الله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝ ﴾ [(4)] (غافر: ٤٥، ٤٦)، قال القرطبي: (الجمهور علـى أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القـبر). وقـال

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٢٧ .
(٢) سورة إبراهيم آية : ٢٧ .
(٣) صحيح البخاري برقم (١٣٦٩) .
(٤) سورة غافر آية : ٤٥ ، ٤٦ .

الحافـظ ابن كثير: (وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علـى عذاب البرزخ في القبور) [1] .

كما دل على عذاب القبر من القرآن أيضا قوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [2] (التوبة: ١٠١)، فقد استدل بـا كثير من السـلف على عذاب القبر، فعن مجاهد أنه قال في تفسير الآية: (بـالجوع وعـذاب القبر، قال: " ثم يردون إلى عذاب عظيم " يوم القيامة). وعن قتادة قـال: (عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم)، وقد استدل بذه الآية والتي قبلها على عذاب القبر الإمام البخاري في ترجمته للأحـاديث في عذاب القبر [3] .

وأما ما جاء في السنة من الأدلة على نعيم القبر وعذابه فكثير جدا مـن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن أحدكم إذا مات عرض عليـه مقعـده بـالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمـن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة ﴾ [4] [5] . وفي صحيـح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ لولا أن لا تدافنوا لدعـوت الله أن يسمعكـم من عذاب القبر ﴾ [6] [7] . والأدلة على هذا

---

(١) تفسير ابن كثير ج٧ / ١٣٦ .

(٢) سورة التوبة آية : ١٠١ .

(٣) صحيح البخاري باب ما جاء في عذاب القبر ، فتح الباري (٣ / ٢٣١) .

(٤) البخاري الجنائز (١٣١٣) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٦) ، الترمذي الجنائز (١٠٧٢) ، النسائي الجنائز (٢٠٧٠) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٧٠) ، أحمد (١١٣/٢) ، مالك الجنائز (٥٦٤) .

(٥) صحيح البخاري برقم (١٣٧٩) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٦) .

(٦) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٨) ، النسائي الجنائز (٢٠٥٨) ، أحمد (١٧٥/٣) .

(٧) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٨) .

كثيرة من الكتـاب والسنة وقد ذكرت ما يستدل به في إثبات عذاب القبر ونعيمه، والله أعلم.

المطلب الثاني: وقوع نعيم القبر وعذابه على الروح والجسد معا

نعيم القبر وعذابه يكون للروح والبدن جميعا، فتنعم الروح أو تعـذب متصلة بالبدن فيكون النعيم والعذاب عليهما جميعا كما أنه قد تنعم الـروح أو تعذب أحيانا منفصلة عن البدن، فيكون النعيم أو العذاب للروح منفـردا عن البدن. وقد دلت على هذا النصوص وعليه اتفق أهل السنة والجماعـة، خلافا لمن زعم أن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح فقط على كل حـال ولا يتعلق بالبدن.

فمن الأدلة على ذلك حديث أنس بن مالك الذي أخرجه البخـاري أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنـه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقـول في هـذا الرجل (لمحمد صَلى اللهُ عَلْيِه وَسَلم) فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال لـه انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعـا. وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجـل ؟ فيقـول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضـرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه من غير الثقلين ﴾ [1] [2].

وفي حديث الـبراء بن عازب الطويل الذي أخرجه أحمـد وأبـو داود والحاكـم وغيرهم مرفوعا للنبي ﷺ قال بعد أن ذكر خـروج الـروح وصعود روح المؤمن إلى

---

(١) البخاري الجنائز (١٣٠٨) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أبو داود السنة (٤٧٥١) ، أحمد (١٢٦/٣) .

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣٣٨) .

السماء: ﴿ فتعاد روحه في جسده فيأتيـه ملكـان فيجلسانه فيقولان له من ربك ﴾ [1] الحديث، وقد صحـح هـذا الحديـث الحاكـم وغيره. [2]

فدل الحديثان على وقوع النعيم أو العذاب في القبر على الروح والجسـد جميعا ففي قول النبي ﷺ ﴿ إن العبد إذا وضع في القبر ﴾ [3] دلالة ظاهرة علـى هذا إذ لفظ (العبد) مسمى للروح والجسد جميعا، وكذلك تصريحه بإعـادة الروح إلى الجسد عند السؤال كما في حديث البراء بن عازب هذا مع مـا جاء في الحديثين من الألفاظ التي هي من صفات الجسد كقوله: ﴿ يسـمع قرع نعالهم ﴾ [4] (فيقعدانه)، ﴿ ويضرب بمطارق من حديد ﴾ [5] ﴿ فيصيح صيحـة ﴾ [6] ، فإن هذا كله يفيد أن ما يحصل في القبر من النعيم أو العذاب متعلق بـالروح والجسد جميعهما.

هذا مع أنه قد جاء في بعض النصوص ما يفيد أن النعيم أو العذاب قـد يقع على الروح منفردة في بعض الأحوال على ما جاء في حديث عبد الله بـن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لما أصيب إخوانكـم يعني يوم أحد - جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنار الجنة وتـأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ﴾ [7] [8] .

---

(١) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧١) ، الترمذي تفسير القرآن (٣١٢٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٥٧) ، أبو داود السنة (٤٧٥٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٦٩) ، أحمد (٤/٢٨٨) .

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٨٧ ، وسنن أبي داود ٥/ ٧٥ برقم (٤٧٥٣) ، والمستدرك : ١/ ٣٧- ٣٨ .

(٣) الترمذي الجنائز (١٠٤٦) ، أبو داود الجنائز (٣٢١٣) ، أحمد (٢/٢٧) .

(٤) البخاري الجنائز (١٢٧٣) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣١) ، أحمد (٣/١٢٦) .

(٥) البخاري الجنائز (١٣٠٨) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أبو داود السنة (٤٧٥١) ، أحمد (٣/١٢٦) .

(٦) البخاري الجنائز (١٢٧٣) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أبو داود السنة (٤٧٥١) ، أحمد (٣/١٢٦) .

(٧) أبو داود الجهاد (٢٥٢٠) ، أحمد (١/٢٦٦) .

(٨) أخرجه أحمد في المسند ١ / ٢٦٦ ، والحاكم في المستدرك ٢ / ٨٨ ، ٢٩٧ ، وصححه ووافقه الذهبي .

فتلخص من هذا أن النعيم والعذاب يقع على الروح والجسد جميعا في القـبر وقد تنفرد الروح بذا أحيانا. قال بعض الأئمة المحققين في السنة في تقريـر هذه المسألة: (والعذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السـنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بـالبدن والبدن متصل با، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتـين كما يكون للروح منفردة عن البدن).

المطلب الثالث: الإيمان بالملكين منكر ونكير

تقدم في مبحث الملائكة ذكر منكر ونكير وأنهما الملكان الموكلان بسؤال الميت في قبره في معرض الحديث عن وظائف الملائكة. والقصد هنا تقرير الإيمان بهما إيمانا مفصلا وما يحصل منهما من فتنة المقبورين إذ تقرير هذا هنا فرع عن الإيمان بنعيم القبر وعذابه في الجملة.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على وصف هذين الملكين وسؤالهما أهل القبور بعد الدفن كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿إذا قبر الميت أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: ما كان يقول هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذرعا في سبعين..، وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري: فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك﴾ [(١)] [(٢)]. وقد دل على سؤال الملكين أيضا حديث أنس المتقدم في المطلب السابق.

فيجب الإيمان بما دلت عليه الأحاديث من اسم الملكين ووصفهما وسؤالهما المقبورين وكيفية ذلك وما يجيب به المؤمن وما يجيب به المنافق وما يعقب ذلك من النعيم أو العذاب على التفصيل الذي جاءت به الأحاديث.

وقد اختلف العلماء هل السؤال في القبر خاص بهذه الأمة كما ذهب لذلك البعض أم أنه عام في كل الأمم كما هو قول فريق آخر من أهل العلم، والذي يظهر من

---

(١) الترمذي الجنائز (١٠٧١) .

(٢) سنن الترمذي ٣ / ٣٨٣ ، برقم (١٠٧١) ، وقال حديث حسن غريب والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : ٧ / ٣٨٦ ، برقم (٣١١٧) .

النصوص عدم اختصاص هذه الأمة به بل هو عـام في كل الأمم وعلى هذا أكثر المحققين من أهل العلم والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث

الإيمان بالبعث

الإيمان بالبعث من أعظم أصول الإيمان في هذا الدين وهو مشتمل علـى جوانب متعددة مما دلت عليه النصوص في هذا الباب، وسيكون بحثه هنـا من خلال عدة مطالب تجلي حقيقته وتبرز أهمية الإيمان به وما يجب علـى المؤمن أن يؤمن به من أحواله وأحداثه:

المطلب الأول: معنى البعث وحقيقته

البعث في كلام العرب يأتي على وجهين:

أحدهما: الإرسـال، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾[1] (الأعراف: ١٠٣)، أي: أرسلنا.

والثـاني: الإثارة والتحريك، تقول بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثـار، ومنـه بعث الموتى وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم. قال تعـالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾[2] ... الآية (البقرة: ٥٦) أي: أحييناكـم.

والبعث في الشرع: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم.

وحقيقة البعث: أن الله تعالى يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدهـا بقدرته كـما كانت ثم يعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشـرهم لفصـل القضاء. قال تعالى:

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٠٣ .

(٢) سورة البقرة آية : ٥٦ .

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [1] (يس: ٧٨، ٧٩).

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن رجلًا حضره الموت لما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا ثم أوروا نارًا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فذروني في اليم في يوم حار أو راح فجمعه الله فقال: لم فعلت ؟ قال: خشيتك، فغفر له ﴾ [2] [3] .

فدلت الآية والأحاديث على أن الله تعالى يعيد الأجساد نفسها ويجمع رفاتها المتحلل حتى تعود كما كانت فيعيد إليها أرواحها فسبحان من لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير.

وقد جاء في السنة بيان كيفية البعث وأن الله ينزل إلى الأرض ماءً فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب وقد دل على ذلك حديث أبي هريرة الذي أخرجه الشيخان ﴿ أن رسول الله ﷺ قال: (ما بين النفختين أربعون) قال: أربعون يومًا. قال: أبيت، قال: أربعون شهرًا ؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة ؟ قال: أبيت، قال: (ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ﴾ [4] [5] . فقد دل هذا الحديث على كيفية البعث وأن أهل القبور يبقون في قبورهم أربعين بين النفختين وهما نفخة الإماتة ونفخة البعث ولم يجزم الراوي بتحديد الأربعين ما هي وهل المراد

(١) سورة يس آية : ٧٨ ، ٧٩ .
(٢) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٩٢) ، النسائي الجنائز (٢٠٨٠) .
(٣) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٩) .
(٤) البخاري تفسير القرآن (٤٦٥١) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥٥) ، النسائي الجنائز (٢٠٧٧) ، أبو داود السنة (٤٧٤٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٦٦) ، أحمد (٣١٥/٢) ، مالك الجنائز (٥٦٥) .
(٥) صحيح البخاري برقم (٤٩٣٥) ، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥٥) .

أربعون يومًا أو شهرًا أو سنة على أنه جاء في بعض الروايات أنـا أربعون سنة. ثم إذا أراد الله بعث الخلائق أنزل مطرًا من السماء. جاء في بعض الروايات أنه مثل مني الرجال فينبت أهل القبور من ذلك الماء كمـا ينبت العشب بعد أن فتت أجسادهم إلا عجب الذنب وهذا بخلاف الأنبياء فإن أجسادهم لا تبلى كما تقدم تقريره فتبين بذا حقيقة البعـث ووقتـه وكيفيته والله أعلم.

المطلب الثاني: أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر

دَلّ الكتابُ والسنة على بعث الله تعالى للأموات وجاء تقريره في مواطن كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فمن الكتاب قولـه تعـالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [1] (البقرة: ٥٦)، وقوله ﷻ ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [2] (لقمان: ٢٨)، وقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [3] (التغابن: ٧).

ومـن السـنة حـديـث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قـال: «لا تفضلـوا بين أنبيـاء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق مـن في السماوات ومن في الأرض إلا من شـاء الله قال: ثم ينفخ فيه مرة أخرى فـأكون أول من بعث أو في أول من بعث فإذا موسى آخذ بالعرش» [4] ..) [5] . وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيحين:

---

(١) سورة البقرة آية : ٥٦ .
(٢) سورة لقمان آية : ٢٨ .
(٣) سورة التغابن آية : ٧ .
(٤) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٣٣) ، مسلم الفضائل (٢٣٧٣) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٢٤٥) ، أبو داود السنة (٤٦٧١) ، أحمد (٢/٢٦٤) .
(٥) صحيح البخاري برقم (٣٤١٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٣) ، وغيرهما .

﴿ فـأكون أول مـن تنشـق عنـه الأرض ﴾ [1] [2]. فدل الحديثان على بعث الله تعالى للأموات يوم القيامـة مـن قبـورهم إلى أرض المحشـر وفيهمـا فضيلـة للنبي ﷺ لكونه أول مـن يبعث.

كما دل النظر الصحيح على تقرير البعث وذلك أن البعث هو إعـادة للخلق ومعلوم لكل عاقل أن الإعادة للشيء أهون من إنشائه وابتدائه ولهـذا قال الله تعالى في كتابه مقررًا للبعث ووقوعه بإبداء خلق الإنسان ونشـأته الأولى وبأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة من بـاب أولى، فقال المعترض على البعث كما حكى الله عنه: ﴿ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ ﴾ [3] (يس: ٧٨)، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ ﴾ [4] (يس: ٧٩)، وقال تعـالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾ [5] (الروم: ٢٧). فهذا دليل شرعي عقلـي من كتاب الله للرد على كل معاند مكذب بالبعث، وهو دليل لا يسـتطيع رده.

المطلب الثالث: الحشر

دلت النصوص على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المحشر حفاة عـراة غرلا قال تعالى: ﴿ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ [6] (الكهف: ٤٧)، وقـال تعالى: ﴿

(١) البخاري الخصومات (٢٢٨١) .
(٢) صحيح البخاري برقم (٢٤١٢) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢٧٨) .
(٣) سورة يس آية : ٧٨ .
(٤) سورة يس آية : ٧٩ .
(٥) سورة الروم آية : ٢٧ .
(٦) سورة الكهف آية : ٤٧ .

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [1] (إبراهيم: ٤٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلا [2]) قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعًا، ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال ﷺ (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض » [3] .

وهذا الحشر عام لجميع الخلائق. وقد دلت النصوص أن هناك حشرا آخر إما في الجنة وإما في النار فيحشر المؤمنون إلى الجنة وفدا والوفد هم القائمون الركبان. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [4] (مريم: ٨٥).

أخرج الطبري عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [5] قال: (أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة) [6] . وأما الكفار فإنم يحشرون إلى النار على وجوههم عميا وبكما وصما. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٤٨ .
(٢) غرلا : غير مختونين .
(٣) متفق عليه : صحيح البخاري برقم (٦٥٢٧) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٩) .
(٤) سورة مريم آية : ٨٥ .
(٥) سورة مريم آية : ٨٥ .
(٦) تفسير الطبري (٨ / ٣٨٠) .

مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ [1] (الفرقان: ٣٤). قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [2] (الإسراء: ٩٧).

المطلب الرابع: الحوض، صفته وأدلته

الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ في المحشر يرده هو وأمته. جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآنيته كعدد نجوم السماء.

وقد دل على ثبوت الحوض وأنه حق كثير من الأحاديث الصحيحة ذكر بعض المحققين أنا تبلغ حد التواتر ورواها عن النبي ﷺ بضعة وثلاثون صحابيا. منها حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء ﴾ [3] [4]. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبدًا ﴾ [5] [6].

---

(١) سورة الفرقان آية : ٣٤ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٩٧ .

(٣) البخاري الرقاق (٦٢٠٩) ، مسلم الفضائل (٢٣٠٣) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٤٢) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٤) ، أحمد (٢٣٠/٣) .

(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري برقم (٦٥٨٠) ، وصحيح مسلم برقم (٢٣٠٣) .

(٥) البخاري الرقاق (٦٢٠٨) ، أحمد (٢/ ١٦٣) .

(٦) متفق عليه ، صحيح البخاري برقم (٦٥٧٩) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٢) .

والحوض يكون في أرض المحشر ويمد ماؤه من الكوثر وهو نـهـر آخـر أعطاه الله لنبينا ﷺ في الجنة قال تعـالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ ﴾ [(١)] (الكوثر: ١). وقـد اختلف أهل العلم في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر فقيل المـيزان قبل، وقيل: الحوض. والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم.

المطلب الخامس: الميزان صفته وأدلته

مما يجب الإيمان به في أحداث اليوم الآخر: الميزان. وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد فيرجح بمثقال ذرة من خير أو شـر، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان.

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [(٢)] .. الآية (الأنـبـياء: ٤٧)، وقال ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ ﴾ [(٣)] (القَارعة: ٦-٩). وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ كلمتـان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في المـيزان سـبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ﴾ [(٤)] [(٥)].

وروى الإمام أحمد والحاكم وغيرهما عـن ابن مسعود رضي الله عنه ﴿ أنه تسلق أراكة وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفـؤه (أي تحركه) فضحك القوم فقال رسول الله ﷺ (مم

---

(١) سورة الكوثر آية : ١ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .
(٣) سورة القارعة آية : ٦ - ٩ .
(٤) البخاري التوحيد (٧١٢٤) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٤) ، الترمذي الدعوات (٣٤٦٧) ، ابن ماجه الأدب (٣٨٠٦) ، أحمد (٢/٢٣٢) .
(٥) صحيح البخاري برقم (٧٥٦٣) ، وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٤) .

تضحكون ؟) قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه. فقال: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان مـن أحد) [(١)] [(٢)] صححه الحاكـم ووافقه الذهبي.

والذي يوزن في الميزان ثلاثة، وقد دلت على ذلك النصوص:

١ - الأعمال، فقد ثبت أنا تجسم وتوزن في الميزان ودل عليه حديـث أبي هريرة السابق: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن...) الحديث.

٢ - صحف الأعمال، وقد دل على ذلك حديث عبد الله بن عمـرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن الله سيخلص رجلا من أمتي علـى رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سـجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحـافظون ؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة ؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلـم عليـك اليوم فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسـول الله، فيقول: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [(٣)] [(٤)] .

٣ - العامل نفسه، وقد دل على وزنه قوله تعـالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [(٥)] (الكهف: ١٠٥)، وكذلك حديث عبد الله بـن مسـعود السابق وأن ساقيه في الميزان أثقل من أحد.

---

(١) أحمد (٤٢١/١) .

(٢) مسند الإمام أحمد ١ / ٤٢٠- ٤٢١ ، والمستدرك ٣ / ٣١٧ .

(٣) الترمذي الإيمان (٢٦٣٩) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٠) ، أحمد (٢١٣/٢) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٢١٣ وقوله (بسم الله) أي مع اسم الله ، والترمذي في السنن ٥ / ٢٤-٢٥ ، برقم (٢٦٣٩) والحاكم في المستدرك ١/ ٦ ، ٥٢٩ وصححه ووافقه الذهبي .

(٥) سورة الكهف آية : ١٠٥ .

المطلب السادس: الشفاعة، تعريفها وأنواعها وأدلتها

الشفاعة في اللغة: الوسيلة والطلب. وفي العرف: سؤال الخير للغير.

والشفاعة عند الله: سؤال الله التجاوز عن الذنوب والآثام للغير.

وحقيقتها أن الله تعالى بلطفه وكرمه يأذن يوم القيامة لبعض الصالحين من خلقه من الملائكة والمرسلين والمؤمنين أن يشفعوا عنده في بعض أصحاب الذنوب من أهل التوحيد إظهارًا لكرامة الشافعين عنده ورحمة بالمشفوع فيهم.

ولا تصح الشفاعة عند الله تعالى إلا بشرطين:

أحدهما: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [1] (البقرة: ٢٥٥). وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ ﴾ [2] (سبأ: ٢٣).

الثاني: رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [3] (الأنبياء: ٢٨). وقد دلت النصوص أن الله لا يرضى أن يشفع إلا في أهل التوحيد لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا» [4] [1]. وقال تعالى في الكفار: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [2] (المدثر: ٤٨).

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٢) سورة سبأ آية : ٢٣ .
(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .
(٤) البخاري الدعوات (٥٩٤٥) ، مسلم الإيمان (١٩٩) ، الترمذي الدعوات (٣٦٠٢) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٧) ، أحمد (٤٢٦/٢) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٢) ، الدارمي الرقاق (٢٨٠٥) .

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الشفاعة عند الله يـوم القيامة. أما الكتاب فقد تقدم ذكر بعضها، وأما من السنة فالأحـاديث في إثبات الشفاعة كثيرة منها حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسـول الله ﷺ قال (.. ﴿ فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيـون وشـفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط ﴾ [٣] [٤].

والأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جدا وقد صرح الأئمـة المحققـون بتواترها واشتهارها في كتب الصحاح والمسانيد. ففي الصحيحين: ﴿ يُخـرج من النار من كان في قلبه حبة من خردل من إيمان ﴾ [٥] [٦] .

أقسام الشفاعة:

والشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلى قسمين: مردودة وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة، ومقبولة وهي ما تحققت فيها شـروط الشفاعة. وقد ثبت لنبينا محمد ﷺ منها ثمانية أنواع، وهي:

١ - الشفاعة العظمى وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم وهي المقام المحمود وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا ﷺ على غيره مـن الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

٢ - شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلـوا الجنة.

٣ - شفاعته في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها.

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٩٩) .

(٢) سورة المدثر آية : ٤٨ .

(٣) مسلم الإيمان (١٨٣) .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٩٤ ، وعبد الرزاق في المصنف ١١ / ٤١٠ برقم (٢٠٨٥٧) .

(٥) البخاري الإيمان (٢٢) ، مسلم الإيمان (١٨٤) .

(٦) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٩) ، في حديث طويل ، وصحيح مسلم برقم (١٨٤) .

٤ - شفاعته ﷺ رفع درجات أهل الجنة في الجنة.

٥ - شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

٦ - شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب.

٧ - شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة.

٨ - شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته من دخل النار أن يخرج منها.

وقد دلت النصوص الصحيحة على هذه الأنواع كلها وهي مبسوطة في مواضعها من كتب السنة والاعتقاد. وهذه الأنواع منها ما هو خاص بالنبي ﷺ كالشفاعة العظمى وشفاعته في عمه أبي طالب وشفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها ومنها ما يشاركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين كالشفاعة في أهل الكبائر وغيرها من الأنواع الأخرى على اختلاف بين أهل العلم في اختصاصه ببعضها من عدمه، والله تعالى أعلم.

المطلب السابع: الصراط، صفته وأدلته

الصراط في اللغة: الطريق الواضح.

وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون وهو طريق أهل المحشر لدخول الجنة. وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الصراط.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [1] (مريم: ٧١، ٧٢) ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط وهو منقول عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم.

---

(١) سورة مريم آية : ٧١ ، ٧٢ .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وهو حديث طويـل في الرؤية والشفاعة وفيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (.. ﴿ ثم يؤتى بالجسـر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجـد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق، وكالريح وكأجـاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جـهنم يمـر آخرهم يسحب سحبا ﴾ [1] [2] .

وقد جاء وصف الصراط في نصوص كثيرة وملخص ما جاء فيها أنـه أدق من الشعر وأحد من السيف دحض مزلة لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله وأنه ينصب في ظلمة فيعطى الناس أنوارا على قدر إيمانم ويمرون فوقه على قـدر إيمانم على ما جاء في الحديث السابق.

المطلب الثامن: الجنة والنار، صفتهما وكيفية الإيمان بـهما وأدلة ذلك

مما يجب اعتقاده والإيمان به الجنة والنار.

والجنة هي دار الثواب لمن أطاع الله وموضعها في السماء السابعة عنـد سدرة المنتهى. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [3] (النجم: ١٣-١٥)، والجنة مائة درجة بين كل درجـة والأخرى كما بين السماء والأرض كما جاء في صحيح البخـاري مـن حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ إن في الجنة مائـة درجـة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين

---

(١) البخاري التوحيد (٧٠٠٢) ، مسلم الإيمان (١٨٣) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٩) ، وصحيح مسلم برقم (١٨٣) ، واللفظ للبخاري .

(٣) سورة النجم آية : ١٣ - ١٥ .

الدرجتين كما بين السماء والأرض ﴾ [1] [2] . وأعلى الجنة الفردوس الأعلى وفوقه العرش ومنه تتفجر أنهار الجنة كما جاء في حديث أبي هريرة السابق عن النبي ﷺ قال: ﴿ فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنار الجنة ﴾ [3] . وللجنة ثمانية أبواب كما جاء في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون ﴾ [4] [5] وقد أعد الله لأهل الجنة فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأما النار فهي دار العقاب الأبدي للكافرين والمشركين والمنافقين النفاق الاعتقادي، ولمن شاء الله من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهم ثم مآلهم إلى الجنة. كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [6] (النساء: ٤٨) وموضعها في الأرض السابعة كذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما. وللنار دركات بعضها أسفل من بعض، قال عبد الرحمن بن أسلم: (درجات الجنة تذهب علوا ودرجات النار تذهب سفولا، وأسفل الدركات هي دار المنافقين كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [7] ... الآية (النساء: ١٤٥)، وللنار سبعة

---

(١) البخاري الجهاد والسير (٢٦٣٧) ، أحمد (٣٣٥/٢) .
(٢) صحيح البخاري برقم (٢٧٩٠) .
(٣) البخاري التوحيد (٦٩٨٧) ، أحمد (٣٣٥/٢) .
(٤) البخاري بدء الخلق (٣٠٨٤) ، مسلم الصيام (١١٥٢) ، الترمذي الصوم (٧٦٥) ، النسائي الصيام (٢٢٣٦) ، ابن ماجه الصيام (١٦٤٠) ، أحمد (٣٣٥/٥) .
(٥) صحيح البخاري برقم (٣٢٥٧) .
(٦) سورة النساء آية : ٤٨ .
(٧) سورة النساء آية : ١٤٥ .

أبواب، قال تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] (الحجر: ٤٤)، ونار الدنيا جـزء مـن سبعين جزءا من نار جهنم على ما جاء في حديث أبي هريرة الذيَ أخرجـه الشيخان عن النبي ﷺ قال: ﴿ ناركـم جزء من سبعين جـزءا مـن نـار جهنم ﴾ [2] [3] .

والإيمان بالجنة والنار يتحقق بثلاثة أمور:

الأول: الاعتقاد الجازم بأنما حق وأن الجنة دار المتقـين والنـار دار الكافرين والمنافقين. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ ﴾ [4] (النساء: ٥٦، ٥٧).

الثاني: اعتقاد وجودهما الآن. قال تعالى في الجنـة. ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [5] (آل عمران: ١٣٣)، وقال تعالى في النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [6] (البقرة: ٢٤)، وجاء في الصحيحين من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكـثر أهلـها النساء ﴾ [7] [1] .

---

(١) سورة الحجر آية : ٤٤ .

(٢) البخاري بدء الخلق (٣٠٩٢) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٣) ، الترمذي صفة جهنم (٢٥٨٩) ، أحمد (٣١٣/٢) ، مالك الجامع (١٨٧٢) ، الدارمي الرقاق (٢٨٤٧) .

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٥) ، وصحيح مسلم برقم (٨٧١) .

(٤) سورة النساء آية : ٥٦ ، ٥٧ .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٣٣ .

(٦) سورة البقرة آية : ٢٤ .

(٧) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٩) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٣٨) ، الترمذي صفة جهنم (٢٦٠٣) ، أحمد (٤٣٧/٤) .

الثالث: اعتقاد دوامهما وبقائهما وأنما لا تفنيان ولا يفنى من فيـهما. قال تعالى في الجنة: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [2] (النساء: ١٣)، وقال تعالى عن النار: ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [3] (الجن: ٢٣).

والمقصود من المعصية هنا الكفر، لتأكيد الخلود في النـار بالتأبيد، قال القرطبي قوله (أبدا) دليل على أن العصيان هنا هو الشـرك [4] . وروى الشيخان من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ قال: « يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينـهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيمـا هـو فيه » [5] [6] .

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة في حياة المؤمن من أهمها:

١- الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم والبعد عن معصيتـه خوفا من عقاب ذلك اليوم.

٢- تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه مـن نعيـم الآخرة وثوابا.

٣- استشعار كمال عدل الله تعالى حيث يجازي كلا بعمله مـع رحمتـه بعباده.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٤١) ، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٨) مختصرا بمعناه ، واللفظ للبخاري .
(٢) سورة التوبة آية : ٨٩ .
(٣) سورة الجن آية : ٢٣ .
(٤) القرطبي ١٩ / ٢٧ ، وفتح القدير ٥ / ٣٠٧ .
(٥) البخاري الرقاق (٦١٧٨) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٥٠) .
(٦) صحيح البخاري برقم (٦٥٤٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٠) ، واللفظ لمسلم .

الفصل الخامس

الإيمان بالقضاء والقدر ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما مع بيان الفرق بينهما.

المبحث الثاني: مراتب القدر.

المبحث الأول
تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما
مع بيان الفرق بينهما

تعريف القضاء والقدر:

القضاء لغة: الحكـم والفصل.

وشرعا: هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعـدام أو تغيير.

والقدر: مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره.

والقدر في الشرع: هو ما قدره الله تعالى في الأزل، أن يكون في خلقـه بناء على علمه السابق بذلك.

الفرق بين القضاء والقدر:

ذكر العلماء في التفريق بين القضاء والقدر. أن القدر: هو تقدير لشـيء قبل قضائه. والقضاء هو الفراغ من الشيء. ومن الشواهد التي ذكرها أبـو حـاتم للتفريق بين القضاء والقدر أن القدر منـزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاتـه التقدير. وعلى هذا يكون القدر سابقا للقضاء. قال ابن الأثير: (فالقضـاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنـزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنـزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصـل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه).

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى فأصبح لكل منـهما معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر. ذكر ذلـك بعض أهل العلم.

الأدلة على إثبات القدر:

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان وقد دلت الأدلة مـن الكتـاب والسنة على إثباته وتقريره.

فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [1] (القمر: ٤٩)، وقوله تعالى ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [2] (الأحزاب: ٣٨) وقوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [3] (الفرقان: ٢).

وأما السنة فقد دلت كذلك على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منها حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن أركان الإيمان فذكر منها: « الإيمان بالقدر خيره وشره » [4] وقدم تقدم الحديث بنصه في مبحث الملائكة. وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وقال: وكان عرشه على الماء » [5] [6].

والإيمان بالقدر محل إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم. أخرج مسلم في صحيحه عن طاوس أنه قال: (أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر). قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز » [7] [8] والكيس: ضد العجز وهو النشاط والحذق بالأمور.

---

(١) سورة القمر آية : ٤٩ .
(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٨ .
(٣) سورة الفرقان آية : ٢ .
(٤) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٢٨/١) .
(٥) مسلم القدر (٢٦٥٣) ، الترمذي القدر (٢١٥٦) ، أحمد (١٦٩/٢) .
(٦) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) .
(٧) مسلم القدر (٢٦٥٥) ، أحمد (١١٠/٢) ، مالك الجامع (١٦٦٣) .
(٨) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٥) .

قال الإمام النووي: (تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى).

المبحث الثاني

مراتب القدر

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم. وهي:

المرتبة الأولى: علم الله بكل شـيء مـن الموجـودات والمعدومـات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا فعلم ما كان وما يكون ومـا لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾[1] (الطلاق: ١٢).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قـال: ﴿ سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين ﴾ [2] [3] .

المرتبة الثانية: كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام السـاعة. قال تعـالى: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾ ﴾[4] (الحج: ٧٠). وقال تعـالى: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾[5] (يس: ١٢).

ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتقدم في كتابة الله مقادير الخلائق قبل خلـق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

---

(١) سورة الطلاق آية : ١٢ .

(٢) البخاري القدر (٦٢٢٤) ، مسلم القدر (٢٦٦٠) ، النسائي الجنائز (١٩٥١) ، أبو داود السنة (٤٧١١) ، أحمد (٣٥٨/١) .

(٣) صحيح البخاري برقم (١٣٨٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٩) .

(٤) سورة الحج آية : ٧٠ .

(٥) سورة يس آية : ١٢ .

المرتبة الثالثة: المشيئة فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكـن. قـال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [1] (يس: ٨٢). وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2] (التكوير: ٢٩). وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « لا يقولن أحدكـم اللهم اغفر لي إن شئت! اللهم ارحمني إن شئت! ليعزم في الدعاء فـإن الله صانع ما شاء لا مكره له » [3] [4] .

المرتبة الرابعة: خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة علـى ذلك فهو سبحانه خالق لكل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكـل ساكن وسكونه. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ [5] (الزمر:٦٢). وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [6] (الصافـات: ٩٦). وروى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ: « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شـيء وخلق السماوات والأرض » [7] [8] .

فيجب الإيمان بهذه المراتب الأربع لتحقيق الإيمان بالقدر ومن أنكر شيئًا منها لم يحقق الإيمان بالقدر. والله تعالى أعلم.

(١) سورة يس آية : ٨٢ .
(٢) سورة التكوير آية : ٢٩ .
(٣) البخاري التوحيد (٧٠٣٩) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٩) ، الترمذي الدعوات (٣٤٩٧) ، أبو داود الصلاة (١٤٨٣) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٥٤) ، أحمد (٢/٤٥٨) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٤) .
(٤) صحيح البخاري برقم (٦٣٣٩) ، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٩) ، واللفظ لمسلم .
(٥) سورة الزمر آية : ٦٢ .
(٦) سورة الصافات آية : ٩٦ .
(٧) البخاري بدء الخلق (٣٠٢٠) .
(٨) صحيح البخاري برقم (٣١٩١) .

ثمرات الإيمان بالقدر:

لتحقيق الإيمان بالقدر أثره البالغ وثمراته النافعة في حياة المؤمـن فمـن ذلك:

١ - الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنـه مقـدر الأسـباب والمسببات.

٢ - راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضـاء الله وقدره.

٣- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد لأن حصول ذلك نعمة مـن الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجـاح فيشـكر الله ويـدع الإعجاب.

٤- طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكـروه لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر على ذلك ويحتسب.

الباب الثالث
مسائل متفرقة في العقيدة

ويتضمن خمسة فصول:

الفصل الأول:

الإسلام والإيمان والإحسان.

المبحث الأول: الإسلام.

المبحث الثاني: الإيمان.

المبحث الثالث: الإحسان.

المبحث الرابع: العلاقة بين الإسلام، والإيمان والإحسان.

المبحث الأول: الإسلام

تعريف الإسلام:

الإسلام لغة: الانقياد والاستسلام والخضوع.

وشرعا: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ومعاداة أهله. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [1] (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣). وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [2] (آل عمران: ٨٥).

أركان الإسلام:

أركان الإسلام خمسة بينها رسول الله ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله» [3] [4].

ويدل على هذا حديث جبريل المتقدم وفيه أنه قال: «يا محمد ! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت» [5] ... إلخ) [1].

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

(٣) البخاري الإيمان (٨) ، مسلم الإيمان (١٦) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠١) ، أحمد (٢/٩٣) .

(٤) صحيح البخاري ، حديث برقم (٨) ، وصحيح مسلم حديث برقم (١٦) .

(٥) البخاري تفسير القرآن (٤٤٩٩) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٢/٤٢٦) .

معنى الشهادتين:

*معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله.

*ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيمـا أخبر به واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

(١) تقدم متفق عليه : صحيح البخاري حديث برقم (٨) ، وصحيح مسلم حديث برقم (٨) .

المبحث الثاني: الإيمان وأركانه
وبيان حكم مرتكب الكبيرة

تعريفه:

الإيمان لغة: التصديق والإقرار.

وشرعًا: اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

أركانه وأدلته:

أركان الإيمان ستة يدل عليها قـول الله تعـالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [1] (البقرة: ١٧٧).

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل عندما سأل النبي ﷺ وقال: «أخـبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليـوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت» [2] ... إلخ) [3] .

زيادة الإيمان ونقصانه:

دل الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فالدليل من الكتاب قول الله تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧ ﴾ [4] (محمد: ١٧). وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [1] (الأنفال: ٢).

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(٢) البخاري تفسير القرآن (٤٤٩٩) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٤٢٦/٢) .

(٣) متفق عليه : صحيح البخاري حديث برقم (٥٠) ، وصحيح مسلم حديث برقم (٨) .

(٤) سورة محمد آية : ١٧ .

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ (٢) (الفتح: ٤).

ومن السنة قوله ﷺ ﴿ يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ﴾ (٣). وكذلك قوله ﷺ ﴿ الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان ﴾ (٤) (٥) (٦).

حكم مرتكب الكبيرة:

كبائر الذنوب نوعان: مكفّر وغير مكفر. فأما المكفر فهو الشرك بالله لأنه أعظم ذنبا عُصي به الله والنفاق الاعتقادي وسب الله ورسوله ونحو ذلك.

والنوع الثاني كبائر غير مكفّرة ولا يخرج مرتكبها من الملة إلا إذا استحلها. وهي سائر الذنوب التي دون الكفر كالربا والقتل والزنا ونحو ذلك.

وقد دل الكتاب والسنة على أن مرتكب الكبيرة غير المكفّرة مؤمن ناقص الإيمان، ويسمى فاسقًا وعاصيًا.

وحكمه في الآخرة أنه تحت المشيئة فإن شاء الله غفر له برحمته وإن شاء عذبه بعدله وهو مع هذا لا يخلد في النار إذا عُذب بل مآله إلى الجنة بما معه من التوحيد والإيمان. قال

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢ .

(٢) سورة الفتح آية : ٤ .

(٣) البخاري التوحيد (٧٠٠٢) ، مسلم الإيمان (١٨٣) .

(٤) صحيح البخاري حديث برقم (٧٥١٠) ، صحيح مسلم حديث برقم (١٩٣) .

(٥) مسلم الإيمان (٣٥) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٥) ، أبو داود السنة (٤٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٥٧) ، أحمد (٢/٤١٤) .

(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم (٥٧) .

تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [1] (النساء: ١١٦).

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير» [2] [3].

وهذا الذي دلت عليه النصوص هنا هو الذي عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم على الخير والهدى في حكم مرتكب الكبيرة وهو المنهج الوسط بين الغلو في هذا الباب وهو مذهب الخوارج قديمًا وحديثًا الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ويخرجونه من الملة ويستبيحون دمه ويعتقدون أنه يوم القيامة خالد مخلد في النار، وبين أهل التقصير الذين يرون أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ولا يفرقون بين مرتكب الكبيرة وبين المؤمن الكامل الذي أدى الطاعات وتجنب المحرمات كما هو مذهب غلاة المرجئة.

الأدلة على أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر:

دل القرآن والسنة على أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر.

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ

(١) سورة النساء آية : ١١٦ .
(٢) البخاري الإيمان (٤٤) ، مسلم الإيمان (١٩٣) ، الترمذي صفة جهنم (٢٥٩٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٣١٢) ، أحمد (١١٦/٣) .
(٣) صحيح البخاري برقم (٤٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٩٢) .

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠﴾ [1] (الحجرات: ٩، ١٠). ووجه الدلالة من الآيتين هو أن الله أثبت الإيمان لمرتكبي معصية الاقتتال من المؤمنين والباغي من بعض الطوائف على بعض وهي من الكبائر وجعلهم إخوة وأمر تعالى المؤمنين بالإصلاح بين إخوتهم في الإيمان.

ومن السنة ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿يدخل أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمان فأخرجوه﴾ [2] ..) [3] .

ووجه الدلالة من الحديث هو عدم تخليد مرتكبي الكبائر في النار حيث يخرج منها من كان في قلبه أدنى شيء من الإيمان كما يدل الحديث على تفاوت أهل الإيمان على حسب أعمالهم وأنه يزيد وينقص بحسب ما يترك المؤمن من واجبات أو يرتكب من محظورات.

(١) سورة الحجرات آية : ٩ ، ١٠ .
(٢) مسلم الإيمان (١٨٤) .
(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الشفاعة وإخراج الموحدين من النار حديث رقم ١٨٤ .

المبحث الثالث: الإحسان

تعريفه:

الإحسان معناه مراقبة الله تعالى في السر والعلن مراقبة من يحبه ويخشاه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه بالمحافظة على الفرائض والنوافل واجتناب المحرمات والمكروهات. والمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافسون في فضائل الأعمال.

أدلته:

من الكتاب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ [1] (النحل: ١٢٨).

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإحسان. فقال ﷺ ﴿ أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ [2] [3].

(١) سورة النحل آية : ١٢٨ .

(٢) البخاري الإيمان (٥٠) ، مسلم الإيمان (٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٤٢٦/٢) .

(٣) تقدم تخريجه ص١١٣ .

المبحث الرابع

العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان

جاء ذكر الإسلام والإيمان والإحسان في حديث جبريل ومجيئه إلى النبي ﷺ وسؤاله عن هذه الأمور الثلاثة فأجاب عن الإسلام بامتثال الأعمـال الظاهرة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتـاء الزكاة، وحج البيت، وعن الإيمان بالأمور الباطنة الغيبية، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعن الإحسـان بمراقبة الله في السر والعلانية، فقَال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك.

فإذا ذكرت هذه الأمور الثلاثة مجتمعة كان لكل واحـد منـها معنى خاص، فيقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة ويقصد بالإيمان الأمور الغيبيـة. ويقصد بالإحسان أعلى درجات الدين وإذا انفرد الإسلام دخـل فيـه الإيمان وإذا انفرد الإيمان دخل فيه الإسلام وإذا انفرد الإحسان دخل فيـه الإسلام والإيمان.

الفصل الثاني:

الولاء والبراء معناه وضوابطه

التعريف:

الولاء: مصدر ولي بمعنى قرب منه، والمراد به هنا القرب من المسلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم على أعدائهم والسكنى معهم.

والبراء: مصدر برى، بمعنى قطع. ومنه برى القلم بمعنى قطعه. والمراد هنا قطع الصلة مع الكفار فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة.

الولاء والبراء من حقوق التوحيد:

يجب على المسلم أن يوالي في الله وأن يعادي في الله وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، فيحب المسلمين ويناصرهم ويعادي الكافرين ويبغضهم ويتبرأ منهم. قال تعالى في وجوب موالاة المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝ ﴾[1] (المائدة: ٥٥، ٥٦). وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾[2] (المائدة: ٥١). وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ ﴾[3] (المجادلة: ٢٢).

ويتضح من هذه الآيات الكريمة وجوب موالاة المؤمنين وما ينتج عن ذلك من الخير ووجوب معاداة الكفار والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه موالاتهم من شر.

---

(١) سورة المائدة آية : ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) سورة المائدة آية : ٥١ .

(٣) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

مكانة الولاء والبراء في الدين:

إن للولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة، فهو أوثق عـرى الإيمـان. ومعناه توثيق عرى المحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الإسلام. فقـد روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿أوثـق عـرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله﴾ [1] [2].

الفرق بين المداهنة والمداراة وأثرهما على الولاء والبراء:

المداهنة: هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعـة الكفـار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب على المسلم من الغـيرة علـى الدين. ومثاله الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتم وهـم علـى معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه. قال الله تعـالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾ [3] (المـائدة: ٧٨ - ٨٠).

المداراة: هي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعـراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس لـه. كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وتـرك الإغـلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفـه. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها، ﴿أن رجلا استأذن على النبي ﷺ فلمـا رآه قال: (بئس أخو العشيرة. وبئس ابن العشيرة)، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت عائشة رضي

(١) أحمد (٤/٢٨٦) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٢١٥) ، والبغوي في شرح السنة (٣/ ٤٢٩) ، بسند حسن .

(٣) سورة المائدة آية : ٧٨ - ٨٠ .

الله عنها: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكـذا، ثم تطلقـت في وجهـه وانبسطت إليه. فقال ﷺ (يا عائشة متى عهدتني فحاشًا، إن شر الناس عنـد الله منـزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره) [1] [2] . فالنبي ﷺ دارى هـذا الرجل لما دخل عليه مع ما فيه من الشر لأجل المصلحة الدينية، فدل علـى أن المداراة لا تتنافى مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشـر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيفه، وهذا من مناهج الدعـوة إلى الله تعـالى. ومن ذلك مداراة النبي ﷺ للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفـًا لهـم ولغيرهم.

وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لغـير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا.

نماذج من الولاء والبراء:

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [3] (الممتحنة: ٤). وقال تعـالى في مـوالاة الأنصـار لإخوانهم المهاجرين: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ [4] (الحشر: ٩).

---

(١) البخاري الأدب (٥٦٨٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٩١) ، الترمذي البر والصلة (١٩٩٦) ، أبو داود الأدب (٤٧٩٢) ، أحمد (٦/١٥٨) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٠٣٢) .

(٣) سورة الممتحنة آية : ٤ .

(٤) سورة الحشر آية : ٩ .

حكم موالاة العصاة والمبتدعين:

إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسـنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق مـن المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر. فقد يجتمع في الشخص الواحـد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطـع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ويتصدق عليه. هذا هـو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة.

هل يدخل في الموالاة معاملة الكفار في الأمور الدنيوية:

دلت النصوص الصحيحة على جواز التعامل مع الكفار في المعـاملات الدنيوية كمسائل البيع والشراء والإيجار والاستئجار والاستعانة بهم عند الحاجة والضرورة على أن يكون ذلك في نطاق ضيق وأن لا يضر بالإسلام والمسلمين. ﴿فقد استأجر النبي ﷺ عبد الله بن أُرَيقط هاديًـا خِرِيتًـا﴾ [1] [2] . والخريـت هو الخبير بمعرفة الطريق.

ورهن النبي ﷺ درعه عند يهودي في صاع من شعير وأجر علي رضي الله عنه نفسه ليهودية يمتح لها الماء من البئر فمتح لها ست عشرة دلوًا كـل دلـو بتمرة. وقد استعان النبي ﷺ باليهود الذين كـانوا في المدينـة في قتـال المشركين. واستعان بـخُزاعة ضد كفار قريش. وهذا كله لا يؤثر على الولاء والبراء في الله على أن يلتزم الكفار الذين يقيمـون بـين المسـلمين بالآداب العامة وأن لا يدعوا إلى دينهم.

---

(١) البخاري المناقب (٣٦٩٤) .

(٢) صحيح البخاري حديث رقم (٢٢٦٣) .

الفصل الثالث:
حقوق الصحابة وما يجب نحوهم

المبحث الأول: من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتم.

المبحث الثاني: وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية.

المبحث الثالث: أهل بيت النبي ﷺ وحقوقهم وبيان أن زوجاته من أهل بيته.

المبحث الرابع: الخلفاء الراشدون، فضلهم وما يجب نحوهم وترتيبهم.

المبحث الخامس: العشرة المبشرون بالجنة.

المبحث الأول:

من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم

تعريف الصحابي:

الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مسلمًا ومات على ذلك.

وجوب محبتهم وموالاتهم:

الصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننـزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقـربى إلى الرحمـن، وبغضهم كفر وطغيان. فهم حملة هذا الدين، فالطعن فيهم طعن في الديـن كله لأنه وصلنا عن طريقهم بعد أن تلقوه غضا طريا عن رسـول الله ﷺ مشافهة ونقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص ونشروا الديـن في كافـة ربـوع الأرض في أقل من ربع قرن وفتح الله على أيديهم بلاد الدنيا فدخل النـاس في دين الله أفواجًا.

وقد دل الكتاب والسنة على وجوب موالاة الصحابة ومحبتهم وأنها دليل صدق إيمان الرجل. فمن الكتاب قولـه تعـالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ [1] (التوبة: ٧١). وإذا كان أصحاب النبي ﷺ مقطوعًـا بإيمانهم بل هم أفضل المؤمنين لتزكية الله ورسوله لهم فإن موالاتهم ومحبتـهم دليل إيمان من قامت به هذه الصفة.

ومن السنة حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: « آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار » [2] [3].

---

(١) سورة التوبة آية : ٧١ .

(٢) البخاري الإيمان (١٧) ، مسلم الإيمان (٧٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٩) ، أحمد (١٣٤/٣) .

(٣) صحيح البخاري برقم (١٧) .

والنصوص في هذا كثيرة جدا لا يسع المقام ذكرها على أنه يحسن التنبيه هنا على ما يترتب على موالاة الصحابة رضوان الله عليهم من الآثار الطيبة في الدنيا والآخرة ما يشحذ الهمم على تحقيق موالاتم.

فمن آثار موالاتم الطيبة في الدنيا الفلاح والغلبة والنصر كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] (المائدة: ٥٦). قال ابن كثير: (كل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة).

ومن ثمار محبتهم في الآخرة ما يُرجى لمُحّبهم من الحشر معهم لقول النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ﴿ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قومًا ولم يلحق بم، فقال رسول الله ﷺ (المرء مع من أحب) ﴾ [2] [3] .

ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يتقربون إلى الله بمحبة أبي بكر وعمر ويعدون ذلك من أفضل أعمالهم وأرجاها عند الله. روى الإمام البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ ﴿ أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة ؟ فقال النبي ﷺ (وماذا أعددت لها). قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقَال النبي ﷺ (أنت مع من أحببت)، فقال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ أنت مع من أحببت.

(١) سورة المائدة آية : ٥٦ .
(٢) البخاري الأدب (٥٨١٧) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٤١) ، أحمد (٤/٤٠٥) .
(٣) صحيح مسلم برقم (٦١٦٨) .

قال أنس: (فأنـا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إيـاهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم) [1] [2] .

(١) البخاري المناقب (٣٤٨٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٣٩) ، الترمذي الزهد (٢٣٨٥) ، أبو داود الأدب (٥١٢٧) ، أحمد (٣/٢٨٣) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٨٨) .

المبحث الثاني

وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم

والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية

فضلهم:

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة ورضي عنهم ووعدهم الحسنى. كما قال تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[1] (التوبة: ١٠٠). وقال تعالى ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[2] (الفتح: ١٨). وقال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[3] (الحشر: ٨- ١٠).

فقد دلت الآيات الكريمة على فضل الصحابة والثناء عليهم من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكل من حصل على شرف الصحبة. ووصف الذين جاؤوا من بعدهم بأنهم يستغفرون لمن سبقهم من الصحابة ويدعون الله تعالى ألا يجعل في قلوبهم غلًّا للذين آمنوا.

(١) سورة التوبة آية : ١٠٠ .
(٢) سورة الفتح آية : ١٨ .
(٣) سورة الحشر آية : ٨ - ١٠ .

كـما تضمنت الآيات وغيرها مما لا يمكن حصره من الـترضي عنـهم وبشارتم بالجنة وحصولهم على الفوز العظيم ومدحـهم وذكـر بعـض صفاتم من الحب والإيثار والكرم والجود وحب إخوانم المسلمين ونصرهم لدين الله ونحو ذلك من الأوصاف العظيمة والذكر الجميل ما هم أهل له.

وقد أثنى عليهم رسول الله ﷺ بأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم عـن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿ لا يدخل النار أحدٌ بـايع تحـت الشجرة ﴾ [(١)] [(٢)] .

وقد جاءت أحاديث بعضها عامة في فضل جميـع الصحابـة وبعضها في فضل أهل بدر، وبعضها في أفراد بخصوصهم.

فالواجب على المسلمين تطبيق هذه النصوص وتولي الصحابة جميعًـا، ومحبتهم والترضي عنهم، وذكرهم بكل جميل، والاقتداء بم والسير علـى منهجهم.

وجوب الكف عما شجر بين الصحابة وحكم سبهم:

عرفنا أن أصحاب رسول الله ﷺ هم الصفوة المختارة من هذه الأمة بعد نبينا ﷺ فهم السابقون إلى الإسلام وهم أعلام الهدى ومصابيح الدجـى، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأبلوا بلاءً حسنًا في الـذود عـن حياض الإسلام حتى مكن الله لهذا الدين في الأرض على أيديـهم. فمـن تنقصهم أو سبهم أو نال من أحد منهم فهو من شر الخليقة؛ لأن عمله هـذا اعتداء على الدين كله. ومن كفرهم أو اعتقد ردتم فـهو أولى بـالكفر والردة وإنه مهما عمل أحدٌ بعدهم من عمل فإنه لن يبلغ شيئًا من فضلـهم. فقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ ﴿ لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا مـا أدرك مُد أحدهم ولا

---

(١) الترمذي المناقب (٣٨٦٠) .

(٢) صحيح مسلم : حديث برقم (٢٤٩٦) .

نصيفه ﵁ [١] [٢] . فقد دل الحديث على تحريم سب أصحاب رسول الله ﷺ والتأكيد على أنه لن يبلغ أحد مبلغهم مهما قدم من عمل.

فالواجب على المسلمين اعتقاد عدالتهم والترضي عنهم والكف عما شجر بينهم وعدم الخوض فيما جرى بينهم من خلاف وترك سرائرهم إلى الله تعالى. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (أولئك قوم طهر الله أيدينا من دمائهم، فلنطهر ألسنتنا من أعراضهم).

وخلاصة القول أن أهل السنة يوالون الصحابة كلهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب. فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد.

---

(١) البخاري المناقب (٣٤٧٠) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤١) ، الترمذي المناقب (٣٨٦١) ، أبو داود السنة (٤٦٥٨) ، أحمد (٥٥/٣) .

(٢) صحيح البخاري حديث برقم (٣٦٧٣) ، ومسلم كتاب الفضائل حديث رقم (٢٥٤٠ ، ٢٥٤١) .

المبحث الثالث

أهل بيت النبي ﷺ

التعريف بأهل البيت:

أهـل البيـت هـم آل النبي ﷺ الذين حرّمت عليهم الصدقة. وهـم: آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل العبـاس، وبنـو الحـارث بـن عبد المطلب وأزواج النبي ﷺ .

أدلة فضل أهل البيت:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] (الأحزاب: ٣٣).

وقال ﷺ ﴿ أذكّركم الله في أهل بيتي ﴾ [2] [3] .

دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت:

قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [4] (الأحزاب: ٣٢-٣٤). قال الإمام ابن

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٢) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٨) ، أحمد (٣٦٧/٤) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٦) .

(٣) صحيح مسلم حديث برقم (٢٤٠٨) .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٣٢ - ٣٤ .

كثير رحمه الله: (ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [١] .

فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ ﴾ [٢] ، أي واعملن بما ينـزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة. قال قتادة وغـير واحـد: (واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين النساء) [٣] .

الوصية بأهل البيت:

تقدم حديث « أذكركم الله في أهل بيتي » [٤] . فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ لأن ذلك من محبة النبي وإكرامه وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملة كما كان سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وبنيه. أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته، ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم ويتبرؤون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، فإنّ كونه من أهل البيـت ومـن قرابـة الرسول لا ينفعه شيئًا حتى يستقيم على دين الله. فقد روى أبو هريـرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنـزل عليـه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [٥] (الشعراء: ٢١٤). فقال: « يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسـكـم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٤ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦ / ٤١١ .

(٤) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٨) ، أحمد (٣٦٧/٤) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٦) .

(٥) سورة الشعراء آية : ٢١٤ .

من الله شيئًا، يـا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنـت محمـد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا» [1] [2] . ولحديث: (من بطـأ به عمله لم يسرع به نسبه) [3] . معنى من بطأ: أي من تأخر.

ويتبرأ أهل السنة والجماعة من الذين يغلون في بعض أهل البيت ويدعون لهم العصمة. ومن الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنـون فيهم، ومن طريقة المبتدعين والخرافيين الذيـن يتوسـلون بـأهل البيت ويتخذونهم أربابًا من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره على المنهج المعتدل والصراط المسـتقيم الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

(١) البخاري الوصايا (٢٦٠٢) ، مسلم الإيمان (٢٠٤) ، النسائي الوصايا (٣٦٤٦) ، أحمد (٣٦١/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧٣٢) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٧١) ، ومسلم برقم (٢٠٤) .

(٣) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩) .

المبحث الرابع
الخلفاء الراشدون

التعريف بالخلفاء الراشدين:

الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (الفاروق)، وذو النورين عثمان بن عفان، وأبو السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم.

مكانتهم ووجوب اتباعهم:

الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون المهديون الذين أمر الرسول ﷺ باتباعهم، والتمسك بديهم. كما ثبت ذلك من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه الذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال: ﴿ أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا با وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة ﴾ (١) (٢).

فضلهم:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن التفضيل بين الخلفاء بحسب ترتيبهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. وقد ورد في فضل كل واحد منهم أحاديث كثيرة نورد حديثًا واحدًا منها لكل واحد منهم:

فمما جاء في فضل أبي بكر رضي الله عنه ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال على منبره: ﴿ لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر ﴾ (٣) (١).

---

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) رواه أحمد (٤ / ١٢٩- ١٢٧) ، والترمذي (٧ / ٤٣٨) بسند صحيح .

(٣) البخاري المناقب (٣٦٩١) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٣٨٢) ، الترمذي المناقب (٣٦٦٠) ، أحمد (١٨/٣) .

ومما جاء في فضل عمر ﷺ ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ كان يقول: ﴿ قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإن عمر بن الخطاب منهم ﴾ [٢] [٣] . ومعنى محدّثون: مُلْهَمُون.

ومما جاء في فضل عثمان ﷺ حديث عائشة الطويل الذي قالت فيه: ﴿ دخل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وعندما رآه الرسول جلس وسوى ثيابه فسألته عائشة فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ﴾ [٤] [٥] .

ومما جاء في فضل علي ﷺ ما رواه الشيخان عن سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال عشية خيبر: ﴿ لأعطين الراية غدًا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسولُه يفتَح الله على يديه... فقال: ادعوا لي عليا... فدفع الراية إليه ففتح الله عليه ﴾ [٦] . [٧] .

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٥٤) .
(٢) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٨٢) ، أحمد (٣٣٩/٢) .
(٣) صحيح البخاري برقم (٣٦٨٩) . ومسلم برقم (٢٣٩٨) .
(٤) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠١) ، أحمد (١٥٥/٦) .
(٥) صحيح مسلم برقم (٢٤٠١) .
(٦) البخاري المغازي (٣٩٧٣) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، أحمد (٣٣٣/٥) .
(٧) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٢) . ومسلم برقم (٢٤٠٥) .

المبحث الخامس

العشرة المبشرون بالجنة

عرفنا فيما سبق فضل الصحابة وأنم جميعًا عدول، وأنم يتفاضلون في الصحبة. وأفضل الصحابة السابقون الأولون في الإسلام من المهاجرين ثم الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل غزوة الأحزاب ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى.

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي بن أبي طالب، ثم عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام حواريّ رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين.

وقد جاءت في فضلهم أحاديث عامة ومنهم من جاء فيه حديث بخصوصه. ومن الأحاديث العامة في فضلهم ما رواه أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس رضي الله عنه عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول: ﴿عشرة في الجنة، النبي ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة)، ولو شئت لسميت العاشر. قال: فقالوا: من هو ؟ فسكت قال: فقالوا: من هو ؟ فقال: (هو سعيد بن زيد رضي الله عنه﴾ [(١)] [(٢)].

وقد بشر النبي ﷺ آخرين غير هؤلاء العشرة بالجنة، مثل عبد الله بن مسعود، وبلال بن رباح، وعكاشة بن محصن، وجعفر بن أبي طالب، وغيرهم كثير. وأهل السنة

---

(١) الترمذي المناقب (٣٧٥٧) ، أبو داود السنة (٤٦٤٨) ، أحمد (١٨٨/١) .

(٢) رواه أحمد (١ / ١٨٨) ، وأصحاب السنن بسند صحيح .

والجماعة ينصون على مـن ورد النـص مـن المعصوم فيه باسمه فيشهدون له بالجنة لشهادة رسول الله ﷺ له، ومن عداهم يرجون لهم الخير لوعد الله لهم جميعًا بالجنة كما قال تعـالى بعـد ذكـر الصحابة وبيان فضل بعضهم علـى بعـض ﴿ وَكُلاًّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (١) (النساء: ٩٥). والحسنى هي الجنة. كما أن مذهب أهـل السـنة في عمـوم المسلمين عدم القطع لأحد منهم بجنة أو نار، وإنما يرجـون للمحسـنين الثواب ويخافون على المسيئين العقاب مع القطع لمن مات على التوحيد بعدم تخليده في النار لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٢) (النسـاء: ١١٦).

(١) سورة النساء آية : ٩٥ .

(٢) سورة النساء آية : ١١٦ .

الفصل الرابع:
الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم
ولزوم جماعتهم

روى مسلم عن أبي رقية تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قـال: ﴿ الديـن النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قـال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ (١) (٢) .

فالنصيحة لله: إفراده تعالى بالعبادة وتعظيمه وخوفه ورجـاؤه ومحبتـه وفعل أوامره واجتناب نواهيه.

والنصيحة لرسوله ﷺ تصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر به، واتباع سنته، والاهتداء بديه ومحبته، وألا نعبد الله إلا وفق ما جاء به ﷺ .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهي الدعاء لهم ومحبتـهم وطاعتـهم في حدود طاعة الله تعالى.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهو أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكـر، وحبُ الخير لهم كـما نحب لأنفسنا وبذل الخير لهم ومساعدتم بقـدر مـا نستطيع.

الواجب نحو ولاة الأمور:

لقد دل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على وجوب طاعة الإمـام وإن جار في حدود طاعة الله تعالى، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فـلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. كما تجب الصلاة خلفه، والحج والجـهاد معه، ويطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعـه في مـوارد الاجتهاد بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم

(١) مسلم الإيمان (٥٥) ، النسائي البيعة (٤١٩٧) ، أبو داود الأدب (٤٩٤٤) ، أحمد (١٠٢/٤) .
(٢) صحيح مسلم برقم (٥٥) .

لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف وتجنب مفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم مـن أمـر المصـالح الخاصة. كما تجب النصيحة له بالطرق المشروعة وترك منازعتـه وعـدم الخروج عليه.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: (ولا نرى الخروج علـى أئمتنـا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننـزع يدًا من طاعتهم ونـرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهـم بالصلاح والمعافاة).

والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعـالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ [1] (النساء: ٥٩).

ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومـن يعص الأمير فقد عصاني ﴾ [2] [3] . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قـال: قـال رسول الله ﷺ ﴿ على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحـب وكـره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ﴾ [4] [5] .

والسنة أن تُبذل النصيحة للإمام سرا بعيدًا عن الإثارة والتـهويل يـدل لذلك ما رواه ابن أبي عاصم وغيره، عن عياض بن غنم رضي الله عنه قـال: قـال رسول الله ﷺ ﴿ من

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٧٩٧) ، مسلم الإمارة (١٨٣٥) ، النسائي الاستعاذة (٥٥١٠) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٥٩) ، أحمد (٣١٣/٢) .

(٣) صحيح البخاري برقم (٧١٣٧) .

(٤) البخاري الأحكام (٦٧٢٥) ، الترمذي الجهاد (١٧٠٧) ، أبو داود الجهاد (٢٦٢٦) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٤) ، أحمد (١٤٢/٢) .

(٥) صحيح البخاري برقم (٧١٤٤) .

أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، وليـأخذ بيده فإن سمع منه فذاك، وإلا أدى الذي عليه﴾ [١] [٢] .

هذه النصوص من القرآن والسنة كلها تأمر بطاعة الأئمة وولاة الأمـور في غير معصية الله تعالى. ويمكن أن نستخلص منها ما يأتي:

١ - أن السمع والطاعة واجبة في كل الأحوال في غير معصية.

٢ - عدم الخروج على ولاة الأمر إذا لم يقبلوا النصيحة.

٣ - أن من نصح لولاة الأمر وأنكر عليهم بالطريقة المشروعة فقد برئ مـن الذنب.

٤ - النهي عن إثارة الفتن وأسباب إثارتا.

٥ - عدم الخروج على الولاة ما لم يظهر منهم الكفر البـواح أي الظـاهر الذي لا يحتمل التأويل.

٦ - وجوب لزوم جماعة المسلمين الذين يسيرون على هدى الكتاب والسنة قولا وعملا واعتقادًا وموالاتم واتباع سبيلهم والحرص علـى جمع كلمتهم على الحق وعدم مفارقتهم أو الانشقاق عليهم. كمـا قـال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [٣] (النساء: ١١٥) وقال رسول الله ﷺ ﴿عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار﴾ [٤] [٥] وعن ابن عباس رضي الله عنه قـال: قـال رسول الله ﷺ ﴿من رأى

---

(١) أحمد (٣/٤٠٤) .

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٥٠٧) بسند صحيح .

(٣) سورة النساء آية : ١١٥ .

(٤) الترمذي الفتن (٢١٦٧) .

(٥) الترمذي برقم (٢١٦٧) ، السنة لابن أبي عاصم برقم (٨٠) .

من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فـارق الجماعة شبرًا فمات فميتته جاهلية ﴾[1] [2]
.

فـدلت هذه النصوص على وجوب لزوم الجماعة وعدم منازعـة الأمـر أهله، والوعيد الشديد لمن يخالف ذلك. إذ أن الجماعـة رحمـة والفرقـة عذاب.

(١) البخاري الفتن (٦٦٤٦) ، مسلم الإمارة (١٨٤٩) ، أحمد (٢٩٧/١) ، الدارمي السير (٢٥١٩) .
(٢) صحيح البخاري برقم (٧١٤٣) .

الفصل الخامس:
وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة
وأدلة وجوبه

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه.

المبحث الثاني: التحذير من البدع.

المبحث الثالث: ذم التفرق والاختلاف.

المبحث الأول

معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه

لقد أمر الله الأمة بالاجتماع واتحاد الكلمة وجمع الصف على أن يكـون أساس هذا الاجتماع الاعتصام بالكتاب والسنة، ونهى عن التفرق وبـين خطورته على الأمة في الدارين. ولتحقيق ذلك أمرنا بالتحاكـم إلى كتـاب الله تعالى في الأصول والفروع ونهينا عن كل سبب يؤدي إلى التفرق.

فالطريق الصحيح إلى النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسـوله ﷺ فإنما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعـالى. قـال تعـالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [(١)] (آل عمران: ١٠٣). فقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو عـهد الله أو هو القرآن كما قال المفسرون، إذ العهد الذي أخذه الله على المسـلمين هو الاعتصام بالقرآن والسنة. فقد أمر الله تعالى بالجماعة ونهى عن التفـرق والاختلاف. قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ ﴾ [(٢)] (الحشر: ٧). وهذا شامل لأصول الدين وفروعه الظاهرة والباطنـة.

وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفتـه، وأن نص الرسول على حكـم الشيء كنص الله تعالى لا رخصة لأحـد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

(٢) سورة الحشر آية : ٧ .

﴿ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ ﴾ [1] (الأنفال: ٢٠). فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعتـه وطاعة رسـوله، وزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له. ولهذا قـال: ﴿ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ ﴾ [2] أي تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [3] (النساء: ٥٩).

قـال الحافظ ابن كثير: (أطيعوا الله، أي اتبعوا كتابه، وأطيعوا الرسول أي خـذوا سنته، وأولي الأمر منكـم أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصيـة الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله). وقوله ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [4].

قال مجاهد: أي إلى كتاب الله وسنة رسـوله.

وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الديـن وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعـالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [5] (الشورى: ١٠). فما حكـم به الكتـاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال. ولهذا قال تعـالى: ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾ [6] ، أي ردوا الفصـل في الخصومات والجهالات إلى الكتاب والسنة

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢٠ .
(٢) سورة الأنفال آية : ٢٠ .
(٣) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٤) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٥) سورة الشورى آية : ١٠ .
(٦) سورة النساء آية : ٥٩ .

ومن لا يرجع إليهما في ذلـك فليس مؤمنًا بالله ولا اليوم الآخر. وقوله ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [1]، أي التحـاكم إلى كـتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النـزاع خير ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [2]، أي وأحسن عاقبة ومآلا كما قال السدي وقال مجاهد: (وأحسـن جزاء وهو قريب) [3]. وفي كتاب الله آيات كثـيرة وردت في وجـوب الاعتصام بالكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل الأمور.

وأما الأدلة من السنة على وجوب التمسك بالكتاب والسنة فمنها مـا رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن الله يرضى لكـم ثلاثًا ويسخط لكـم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويسخط لكـم ثلاثًا، قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال ﴾ [4] [5]. وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي ﴾ [6]. وقال ﷺ ﴿ تركتكـم علـى البيضـاء ليلـها كنهارها لا يزيغ عنها بعد إلا هالك ﴾ [7] [8]. وجاء في حديث

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٣) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٠٤) .
(٤) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٢/٣٦٠) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .
(٥) صحيح مسلم برقم (١٧١٥) .
(٦) رواه مالك في الموطأ (٢ / ٨٩٩) .
(٧) ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (٤/١٢٦) .
(٨) سنن ابن ماجه (١/ ١٦) المقدمة . وصحيح ابن ماجه للألباني (١/ ٦) .

العربـاض بـن سارية قوله ﷺ ﴿ عليكـم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعـدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ﴾ (١) (٢) .

وقد بشر النبي ﷺ المتمسكين بسنته من أمته بأعظم بشـارة وأشـرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعى إلى تحقيقه من كان في قلبه أدنى مسكة مـن إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة. جاءت هذه البشـرى في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ كل أمتي يدخلون الجنة إلا مـن أبى. قـالوا ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقـد أبى ﴾ (٣) (٤) . وأي إباء ورفض للسنة أعظم مـن مخالفـة أمـره ﷺ ؟ وذلـك بالإحداث والابتداع في الدين.

ومعلوم أن الفرقة الناجية هي التي كانت على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهي الجماعة. قال أبي بن كعب ﷺ ﴿ عليكم بالسبيل والسـنة فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشـية الله فتمسه النار أبدًا وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خـلاف سبيل وسنة ﴾ .

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .
(٢) سنن أبي داود (٥/ ١٣) والترمذي مع تحفة الأحوذي (٧/ ٤٣٨) .
(٣) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٥١) ، أحمد (٣٦١/٢) .
(٤) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٠) .

المبحث الثاني

التحذير من البدع

تعريف البدعة:

البدعة لغة: هي الاختراع على غير مثال سابق ومن ذلـك قول الله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ [1] أي مخترعهما.

وشرعًا: ما خالف الكتاب والسنة، أو إجمـاع سـلف الأمـة من الاعتقادات والعبادات المحدثة في الدين.

خطر البدع:

إن البدع والمحدثات في الدين لها خطورة عظيمة، وآثار سيئة على الفرد والتمع بل وعلى الدين كله أصوله وفروعه. فالبدع: إحداث في الديـن، وقول على الله بغير علم وشرع في الدين بما لم يأذن به الله، والبدعة سـبب في عدم قبول العمل وتفريق الأمة، والمبتدع يحمل وزره ووزر من تبعـه في بدعته، كما أن البدعة سبب في الحرمان من الشرب من حوض النبي ﷺ فعن سـهل بـن سـعد الأنصاري، وأبي سعيد الخـدري رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ قـال: ﴿أنا فَرَطُكم على الحوض من مرّ علي شرب، ومن شرب لا يظمأ أبدًا. ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول إنم من أمتي، فيقال: إنك لا تدري مـا أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً لمن غيّر بعدي﴾ [2] [3] . والفرط: الذي يسبق إلى المـاء.

وسحقًا: أي بعدًا.

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٧ .

(٢) البخاري الرقاق (٦٢١٣) ، مسلم الفضائل (٢٢٩١) ، أحمد (٣٣٩/٥) .

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٥٨٣) ، ورقم (٦٥٨٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٠) .

والبدعة تشويه للدين، وتغيير لمعالمه. والخلاصة أن البدعة خطر عظيم على المسلمين في أمر دينهم ودنياهم.

أسباب البدعة:

للبدع أسباب كثيرة أعظمها البعد عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، الأمر الذي يؤدي إلى الجهل بمصادر التشريع.

ومن أسباب انتشار البدع، التعلق بالشبهات والاعتماد على العقل الرد وجلساء السوء، والاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل با المبتدعة على بدعهم، والتشبه بالكفار، وتقليد أهل الضلال ونحو ذلـك من الأسباب الخطيرة.

خطر البدع:

من تأمل الكتاب والسنة وجد أن البدع في الدين محرمة ومردودة علـى أصحابا من غير فرق بين بدعة وأخرى، وإن كانت تتفاوت درجـات التحريم بحسب نوعية البدعة.

ومن المعلوم أن النهي عن البدع قد ورد على وجه واحد في قول النبي ﷺ ﴿ إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالـة ﴾ [1] [2] . وقوله ﷺ ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [3] [4] . فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحـريم يتفـاوت بحسب نوع البدعة فمنها ما هو كفر صراح كالطواف بالقبور تقربـا إلى أصحابا، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء

---

(١) مسلم الجمعة (٨٦٧) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٧٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) ، أحمد (٣١١/٣) ، الدارمي المقدمة (٢٠٦) .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٣٥) ، والدارمي في السنن (١/ ٧٨) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٨) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(٣) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٧٠/٦) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧) ، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨) .

أصحابا والاسـتغاثة بـهـم، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور، والصـلاة والدعـاء عندها، ومنها ما هو فسق ومعصية كإقامة الأعياد التي لم ترد في الشـرع، والأذكار المبتدعة والتبتل والصيام قائما في الشمس.

المبحث الثالث

ذم التفرق والاختلاف

الأدلة على ذم التفرق:

لقد ذم الله التفرق ونهى عن الطرق والأسباب المؤدية إليه. وقد جـاءت النصوص من الكتاب والسنة التي تحذر من التفرق والاختلاف وتبين سـوء عاقبته وأنه من أعظم أسباب الخذلان في الدنيا، والعذاب والخزي وسـواد الوجوه في الآخرة. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [(1)] (آل عمران: ١٠٥-١٠٧). قال ابن عباس: (تبيض وجـوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [(2)] (الأنعام: ١٥٩).

فقد دلت الآيات على ذم التفرق وخطورتـه علـى الأمـة في الدنيـا والآخرة، وأنه سبب هلاك أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، وسـبب كل انحراف وقع في الناس.

وأما السنة فقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في ذم التفرق والاختـلاف والحث على الجماعة والائتلاف فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبـو داود عن معاوية ﵁ أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقـال: ﴿ألا إن من قبلكـم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة. وإن هذه الأمـة ستتفرق على ثلاث وسبعين ملة اثنتان

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

وسبعون في النار وواحدة في الجنـة وهي الجماعة ﴾ [1] [2] . فقد أخبر النبي ﷺ بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، لا ريب أنم الذين خاضوا كخوض الذيـن مـن قبلهم ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ إما في الدين فقط وإمـا في الدين والدنيا ثم يؤول إلى الدين. وقد يكون الاختلاف في الدنيـا فقـط. وعلى كل حال فإن الفرقة والاختلاف لا بـد مـن وقوعـهما في الأمـة والرسول ﷺ يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة.

الاختلاف والتفرق سبب هلاك الأمم السابقة:

إذا تأملنا القرآن والسنة وجدنا أن سبب هلاك الأمم السابقة هو التفرق وكثرة الاختلاف لاسيما الاختلاف في الكتاب المنـزل عليهم.

قال حذيفة رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه (أدرك هذه الأمة، لا تختلف في الكتـاب كما اختلفت فيه الأمم قبلهم)، لما رأى أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نى عنه رسول الله ﷺ . فأفاد ذلك شيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهتهم. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [3] (البقرة: ١٧٦).

وقوله: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ ﴾ [4] (آل عمران: ١٩).

---

(١) أبو داود السنة (٤٥٩٧) ، أحمد (١٠٢/٤) ، الدارمي السير (٢٥١٨) .

(٢) رواه أحمد (٤ / ١٥٢) . وأبو داود (٥ / ٥) وغيرهما بسند صحيح .

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٦ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٩ .

ومن السنة ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم﴾ [1] [2] . فقد أمرهم الرسول ﷺ في هذا الحديث بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال، ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية أي بمخالفتهم لما أمرتم به أنبياؤهم.

هل الاختلاف رحمة:

يدعي بعض الناس أن الاختلاف رحمة اعتمادًا على حديث موضوع: (اختلاف أمتي رحمة). وهذا القول مردود بالكتاب والسنة والعقل. وقد ذكرنا بعض الآيات والأحاديث الواردة في ذم الاختلاف والتفرق. وفي ذلك كفاية لمن تدبر وتأمل.

بل قد دل القرآن على أن الاختلاف لا يتفق مع الرحمة بل هو ضدها. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [3] (هود: ١١٨، ١١٩).

والحديث الذي استدل به أصحاب هذه الدعوى باطل ولا يصح بحال، ولا يوجد في شيء من كتب السنة. وهذا كافٍ في بطلان هذه الدعوى، يضاف إلى ذلك مخالفته للمعقول، فإنه لا يتصورَ عاقل أن الاختلاف رحمة، بعدما عرفنا المفاسد الخطيرة الناتجة عنه من التشاحن والتباغض والتهاجر بل وربما القتال والحروب التي كثيرًا ما ثارت بين الناس بسبب الاختلاف، حتى في بعض مسائل الفروع.

---

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٥٨) ، مسلم الحج (١٣٣٧) ، النسائي مناسك الحج (٢٦١٩) ، ابن ماجه المقدمة (٢) ، أحمد (٢/٤٢٨) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨) ، وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧) .

(٣) سورة هود آية : ١١٨ ، ١١٩ .

طريق الخلاص من الفرقة والاختلاف:

ومن المعلوم أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هي الجماعة. والجماعة هم الذين يسيرون وفق منهج النبي ﷺ وأصحابه لا يعدلون عن ذلك ولا يحيدون عنه يمينًا أو شمالًا.

قال الشاطبي رحمه الله في الاعتصام: (إن الجماعة ما كان عليه النبي وأصحابه والتابعون لهم بإحسان). فطريق الخلاص هو اتباع منهج أهل السنة والجماعة قولًا وعملًا واعتقادًا، وعدم مخالفتهم أو الشذوذ عنهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [1] (النساء: ١١٥).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [2] (الأنعام: ١٥٣).

وفي السنة ما رواه الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: « لا تجتمع أمتي على ضلالة- أو قال: أمة محمد على ضلالة- ويد الله على الجماعة » [3] [4].

وبذا نختم القول بأن طريق الخلاص وعنوان السعادة التمسك بكتاب الله تعالى، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فإنما أي الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان لعقيدة

(١) سورة النساء آية : ١١٥ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
(٣) الترمذي الفتن (٢١٦٧) .
(٤) رواه الترمذي (٤ / ٤٦٦) ، وغيره بسند صحيح .

الإسلام وشريعته. فـأي منهج جانب هذا الطريق فإنه منهج خاسر، فالتمسك بالسنة هـو سـبيل المؤمنين، وطريق الوصول إلى مرضاة رب العالمين، والحصن الحصين، وهـذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من بدع المبتدعين وانتحـال المبطلـين، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين. وهو الطريق الذيَ صلحت بـه أحـوال الأمة في صدر الإسلام، ولا فلاح لنا ولا نجاح إلا بالرجوع إليه. يقول إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، وما صلح به أولها هو العمل بكتاب الله وسنة رسـوله ﷺ ومما ينبغي على المسلم في هذا الجانب أن يكون العمل بالكتـاب والسـنة مقيدًا بفهم السلف الصالح ومنهجهم لقـول الله تعـالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[(١)] (النساء ١١٥).

فاتباع سبيل المؤمنين وهم الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهديين بإحسان هو سبيل النجاة نسأله تعالى أن يوفق الأمة الإسلامية للتمسك بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ واتباع سبيل المؤمنين. وآخر دعوانـا أن الحمـد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) سورة النساء آية : ١١٥ .

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس